


a32101 010120457b

مِصباحُ الظلمتين

قِصةُ اليهودي التائه الحقيقية

حوادث واقعية، ووقائع حقيقية كانت طي الخفاء قروناً عدة لم يتوصل الى كشفها انسان من وجود الارواح والجان واحضارها للعيان والتكلم معها .. الى غير ذلك .

وحديث في اثنتي عشرة ليلة مع اليهودي التائه يتضمن تاريخ حياته الحافلة بالمغامرات والمفاجآت .

وحقائق خطيرة عن فلسطين غير منشورة حتى الان

Khazrajī

تأليف

علي غالب الخزرجي

الطبعة الاولى

{مطبعة الحيدرية — نجف}

١٣٦٨ — ١٩٤٩

الإهداء

الى الذين تعلقوا بالمادة وانكروا
وجود الجان والارواح أهدي
كتابي هذا

المؤلف





صورة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل أوحي الي أنه أستمع نفر من
الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً . يهدي
الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا
أحداً)

— صدق الله العظيم —

(المدخل)

منذ مدة طويلة وأنا أفكر في تأليف كتابي هذا الذي أسميته « مصباح الظلمين » والذي عزمت فيه على كشف الخفايا وهتك الغوامض لأضعه بين أيدي القراء الاعزاء كثمرة ناضجة يستلذ مضغها كل من يتذوق طعمها ، ويشتهي قطفها كل من يراها معلقة بغصنها ، ويقدم على شرائها الذي يمر بها ويشم رائحتها . ولكنني كثيراً ما كنت أتردد ، وكانت عزيمتي في ذلك فاترة ، فاقدم تارة وأحجم أخرى . وما أعسر على الانسان المتردد بين أمرين مختلفين ، تتلاقفه قوتان متضادتان . . قوة تجذبه الى الامام وأخرى تدفعه الى الوراء . وقد دار في رأسي نزاع بين عقلي وأرادتي : العقل يمسكني وينهاني ، هامساً في أذني لا تفعل !! :. أتريد ان تكون موضعا للسخريه وهدفا واضحا للرجم بحجارة التهكم والازدراء ؟؟.. وهل تحب أن تكون حديث المجالس في ساعات التسلية وأضحوكة المجتمع للجنسين ؟؟ .. فاذا شئت ذلك فشأنك وما تريد ! . . . إما الارادة فقد كانت تدفعني وتأمرني باخراج الكتاب مهما كانت الامر وتستفزني قائلة . . لا تخف ولا تتهيب ! ! . . سيكون كتابك هذا فريداً فى بابه ، عجيباً فى تفاصيله ، غريبا باحاديثه . وفي الحقيقة إنه سيكون أعجوبة القرن العشرين . . عصر النور والذرة عصر العلم والاختراع وسيكون علمك هذا من نوع العلوم المبتكرة . ومم تخاف اذا كان لديك البرهان الواضح والدليل القاطع على أقوالك وتصريحاتك ؟ . أمثلك يخاف

وفي استطاعته كشف الحقائق الملموسة فى بضع لحظات ؟؟ أمثالك يخشى وفي مقدوره أن يجعل كل خفي مكشوفا للابصار ، محسا مسموعا بالآذان .. وعند ذلك فازت الأرادة بالصراع مع العقل ، وكانت الغلبة لها . فشرعت بتأليفه ، وشمرت عن ساقى لأخوض هذه البحيرة الملأى بالتماسيح والاخطبوط . وقررت المضي في هذا السبيل مهما صادفت من عقبات .

وقبل أن أختم مقدمة كتابي هذا أود أن أقول ان الغاية من تأليفه ليست لمنفعة مادية ولا لأبهة شخصية ولا لأن يكون داعية لي فاكون بواسطته علما من الأعلام وشخصا يشار إليه بالبنان . وعلم الله أنى لم أستفد من على هذا فائدة مادية إلا اللهم تلك الفائدة المعنوية فقط ، التي حصلت عليها من كشف بعض الاسرار البسيطة والحقائق الغامضة . فى حين أن بامكانى أن أحصل على كثير من الأشياء وقد احتفظت بالعهود التى قطعتها على نفسى فلم أحنث بها .

هذا من جهة ومن جهة ثانية أن العلم الذي نحن بصدده هو علم شريف بذاته ، وقد أخطأ كل من ظن أن من يكون لديه هذا العلم يستطيع أن ياتى بالمعجزات وتكون كنوز الارض تحت سيطرته فيفعل ما يشاء ويحكم كيف يريد بمجرد أيعازه الاوامر الى « الجان » .. كلا !! .. حيث أن الجان مربوطون بقوانين وأنظمة إلهية ومثلها أرضية ، كما هو عندنا ، ولا يستطيع أي فرد منهم أن يتحرك حركة إلا بأذن من ملوكهم أو حكامهم . زد على ذلك أن تقييدهم بالقوانين الربانيه أكثر من تقييدنا بها بكثير ، حيث أنهم مغلولو الارادة ومشلولو الحركة ،

فاذا ما زلقت قدم أحدهم بمخالفة ربما يحترق ويعذب عذابا أليما :

ولعل السبب في ذلك هو أن الستار مرفوع عنهم والحجاب مكشوف لديهم ، ويرون مالانراه نحن ، ويعلمون أشياء لا علم لنا بها ، ولهم من القدرة على الحركة ما لا قدرة لنا عليها . فانهم كالبرق الخاطف يدورون حول الارض وباسرع من لمح البصر يصلون الى ما يقصدون . وأما عن تقلبات أشكالهم وصورهم فحدث ولا حرج ، ففي لحظة واحدة يستطيع الفرد منهم أن يحول شكله وصورته وهيأته الى مئات الصور المختلفه ،وعلى قدر ما اعطاه الله من القوة والقدرة على ماذكرت آنفا فهو قيده بقوانين تربطه تتفق مع قوته وقدرته ، وأذا ما ارتكب مخالفة من المخالفات يكون عقابه وفقا لما جنته يداه وطبقا للقوانين السماوية .

ولعلى قد خرجت عن الموضوع الذي أنا بصدده فاعود الآن وأنا أقول بأني لم أضع كتابي هذا وما مزقت نسيج ذهني إلا لاكشف الحجاب عن الحقائق التي كانت مطموسة عن الناس وهم فيها بين مصدق ومكذب ، بالرغم من أن بعضهم رأوا ما رأوا وآخرون نقلوا ما نقلوا من الحكايات المختلفة التي تؤيد كلها وجود الجن . ولكن الواقفين على التل يكذبونهم ويخرفونهم ويسخرون منهم ويهزأون بهم ويقولون هذه أشباح لا وجود لها .. هذه خيالات صورتها لهم مخاوفهم . إما أنا ـ فشخصيا ـ لا أنكر ما فيها من المبالغات والاهوال التي تحير العقول .. فقد يهول الرائي بما رأى ويبالغ الناقل باكثر مما سمع ، ولكن هذا على كل حال لا ينفي وجود الجن والارواح التي أنكرها العلم الحديث إنكاراً تاما ، حتى لقد أنكرها أغلب الناس إن لم أقل كلهم ، فحسبوا هذه

المخلوقات مجرد أوهام لا وجود لها وان الخوض في أحاديثها أسطورة من الأساطير يجدر بالعاجز نقلها ، ومن المشقة تفسيرها والصعوبة تأويلها والمستبعد تصديقها ، حيث تعود الناس على أن كل شيء لم تره أعينهم وتسمعه آذانهم وتلمسه إحدى حواسهم لم يصدقوا بوجوده وأظن هذا من بعض حقهم . . ولكنني سأثبت لهم في هذا الكتاب وجود هذه المخلوقات ، وأدعم كلامي بالبراهين القوية وآتيهم بقصص واقعية جرت معي سابقا قبل أن أحصل على هذا العلم . والآن فانه بامكاني أن أعطي القول الفصل للقراء الكرام وادعو كل من يجد في نفسه الجرأة أن يشاهدهم بعينيه ويكلمهم بلسانه ويسمع كلامهم باذنه . . ولكن قبل كل شيء هناك شروط طفيفة لا تثقل كاهله ، تلك هي : أن لا يسأل السائل ما ينافي الاخلاق ، ولا يجوز له السؤال عن الملكين المقربين « منكر ونكير » وماشابه ذلك : كما ولا يسوغ له في ساعة الاستحضار أن يستهتر أو يستهزيء أو يتهكم ، ولا يسمح له أن يستفهم عن أعدائه أو عن جناية وقعت فيما مضى قريبة أو بعيدة ويستفسر عن فاعليها .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى قد وقع لي مع الموكلين أي الجن (١) عهد ان لا احضرهم الى من جاوز العشرين عاما من الرجال ، ومن النساء لا بأس بهن مهما بلغن من العمر ، وقد يحضرون للرجال ممن جاوز العشرين عاما إلا إن ذلك من الصعب جداً يحتاج الى مشاق وأتعاب بالاضافة الى الوقت الكبير ، ويحدث أحياناً أن لا يحضرو

« ١ » ومن هنا نطلق على الجن أسم « الموكلين »

للرائي لاول وهلة من الجلسة الأولى أو الثانية أو الثالثة من نفس اليوم ، فيحدث ما يسمى حينذاك باصطلاحهم « المحالفة » ، وذلك لوجود مستهترين او مستهزئين كي لا تقع حادثة غير محمودة العاقبة . فمتى زال الشك والاستهتار عن النفوس ظهروا للعيان حتماً حتى لمن بلغ من العمر عتياً .

وأرجوا من القارىء الكريم أن لا يوجه لي أي إنتقاد قبل ان يأتي على قراءة الكتاب حتى الفصل الاخير منه ، كما وأرجوا ان لا يظن بي سوءاً فيحسبني متظاهراً في الباهات في هذا العلم ، ويتصور إني أريد أن أظهر للناس بمظهر البطل الشجاع في هذا الميدان ، وذلك عندما يعثر على جمل أنعت فيها نفسي بالصبر والجلد على المكاره مما لاقيته من أهوال ومخاوف تقشعر لها الابدان ، ويجب أن أذكرها بحكم الطبع .

فما أنا الا ذرة موهومة في هذا الوجود ، واعترف باني أقصر باعا من غيري ، ولم أك بالنسبة لهم شيئاً مذكورا . غير أني فقتهم بنقطة واحدة وهي الموفقية التي وهبني الله إياها .

نعم !! .. كثير في هذا الكون من جاهدوا وناضلوا وضحوا بعقولهم وفقدوا هناءهم ، ومنهم من أودى بحياته ، ولكنهم لم يوفقوا .. واخيرا إندحروا افضع اندحار .

وأظن بل اعتقد جزما ان هذا الامر موكول الى التوفيق من الله عز وجل ومنحة من العناية الالهية يمنحها لمن يشاء ، إذ ان هذا العلم بحر لاقرار له مترامي الاطراف شاسع الارجاء ، مملوء بالمخاوف

والاهوال ، كثير العجائب والغرائب . ومهما تجرأ الانسان ليخوض لجية ، فلا يستطيع الحصول منه سوى على مغرفة واحدة ، وانا اقر واعترف بانني لازال في منتصف الطريق وامامي الآن مجموعة من الاسرار والغوامض وحيالي كتلة من المعميات تجنبتها خوفا من ان تجنح قدمي في هذا التيه المتشعب السبل وواحد المخرج ، فاكتفيت وقنعت في الحال الحاضر بما وصلت أليه يدي وللمستقبل رب قدير .

فلايفخر الانسان بعلم تعلمه ولا باختراع إبتكره ولا بمجهول اكتشفه ، حيث أن كل هذه الاشياء التي نراها ونسمعها والتي تحير العقول وتكاد تكون معجزة من الاعجاز في حد ذاتها ماهي الا ذرة صغيرة من اسرار هذا الكون العجيب ، والانسان مهما سمي عقلا واتسع معرفة لا يحيط بزاوية صغيرة من خفايا هذا الوجود ، ومهما يكن له من قوة وتفكير وأختراع وتقدير يختص به دون غيره ، فليعلم ان فوق يده يدآ وان فوق علمه علما ، لذا يجب عليه ان لا يتباهى ولا يفتخر على بقية بني جنسه - وينبغي للانسان وهو ذو العقل المفكر اذا سمع بنادرة قليلة الحدوث ان يتحرى عنها وينقب عن حقيقتها ويستخلص سمينها من غثها وينتش في كل زاوية من زواياها حتى يمحص صدقها من كذبها فعندئذ يستطيع ان يحكم عقله فيها ، ولا يسوغ له عندما تطرق ذهنه قضيه خارقة للعادة ونادرة الحدوث ان يظربها عرض الحائط ، ويبقى يكابر ويغالط ويعاند على ان هذا لا يمكن ، ويتهم من تحدث بها بانه رعديد خواف تصور له مخاوفه صورآ شتى من الخيالات الوهميه ، ويطبق هذا الجدل كله على نفسه بقوله : « انا ما رأيت .. »

ومن ثم يأخذ يبالغ بنفسه قائلا : « وصلت الى مكان كذا . وطرقت مكان كذا . وتخطيت محل كذا . فلم ار شيئا من هذا القبيل » . ويتصور هذا شرطا معينا كأنه اذا رآه وجد وإن لم يره بنفسه فلا وجود له .

والآن أعيد قولي على إخواني الذين يقولون هذا القول المتقدم ذكره باني مستعد لاريهم كل شيء من هذا القبيل فيما اذا وجدوا الجراءة في انفسهم وثبتوا للاهوال التي تمر امام اعينهم ولا تختل عقولهم .

أنا لا ألوم من ينكر هذا العلم على من يدعي لديه بدون برهان أو دليل . حيث أن الدجالين والمشعوذين كثيرون من امثال الفوالين وكاتبي التعاويذ وغيرهم الذين سدوا طريق الحق ببهتانهم وافكهم وجعلوا وجود هذا المخلوق اسطورة من الاساطير وذلك بادعائهم بان لهم السيطرة عليهم وأن لهم الاتصال بالارواح والجان معا ، ومتى شاؤا أخبروهم بما كان وبما يكون ، ويمكن بواسطتهم ان يسيروا الخلائق كيفما أرادوا ، وان يجلبوا الناس الى أي مكان يريدون ، وأدعوا ما ادعوا حتى لكأنهم باستطاعتهم ان يمشوا على سطوح البحار ، وهؤلاء الدجالون لا يخلو منهم زمان ولا مكان ، يملئون الارض من مشرقها الى مغربها يلبسون مسوح الرهبان فوق قلوب الثعالب ليخدعوا الفرائس وليس هناك امة من الامم مهما سمت ثقافتها ورجحت عقليتها إلا وكان فيها من اؤلاء الدجالين من سيطروا على العقول الآسنة وأستولوا على أصحاب الادمغة المترجرجة ، وهولاء هم الذين وقفوا سدا (كسد الاسكندر)

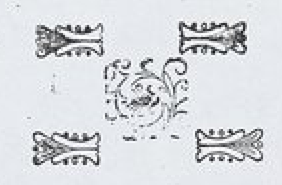
دون الواقع وحالوا بين الحق حيلولة الليل بين نهارين ويدجلهم هذا صارت الحقيقة ضربامن الاساطير الى حين تقوم الساعة وترجف الراجفة

ولا ينكر إن اهل الرمل واهل الجفرواهل النجوم وكاتبين الرقى ﴿ التعاويذ ﴾ كل له علمه وفنه ويستفيدمنه على قدر معرفته به والعارفون بهذه العلوم هم قليل فى الحقيقة وقليل جداً بحيث استطيع ان اقول انه لا يحصل الا واحد بالمليون بل في عشرات الملايين ، هذا وأن حصل فتراه منزويا في مكانه ، عاكفا على عبادته وعمله . كما وفى إستطاعتي ان اقول انهذا الشخص الذي قصدته بكلامى ناقص فى علمه وهو لايزال علي اولى درجات السلم من علمه . هذا رأيى فيهم جميعا ، واظنني مصيبا فى رأيى .

وأنكى من هذا ان السواد الاعظم من الجمهور لا يميزون بين الرمل والجفر والنجوم والتعاويذ . ومادروا ان الرمل والجفر والنجوم علوم للحساب فقط ، مثلا لكشف المستقبل وما ستقع من الحوادث ، فلا علاقة لهذه العلوم الثلاثه بتلاوة الآيات الشريفه وكتابة التعاويذ ، فكل علم مستقل بذاته وله خصائصه وميزاته . وسأبسط لك نبذاقصيرة مختصرة عن حقيقة هذه العلوم للتمييز فيما بينها .

[الرمل]

علم ثابت على قواعد معينة وحساب يتكون من نقط وخطوط أفقية يولد صاحبها منها بالتدريج ستة عشر بيتا ، ولكل من هذه البيوت اسم خاص به كالجودلة والاحيان ونقى الحد والحمرة والبياض ونصرة الخارجة ونصرة الداخلة وعتبة الداخلة وعتبه الخارجة . . . قبض داخل وقبض خارج وعقلة وطريق وانكيس واجتماع فهذه ستة عشر بيتا ، ومن ثم يشرع بالسؤال فى التوزيع على البيوت المذكورة وعندما يرسب آخر عدد من أعداده على البيت المختص بحاله وشكله ولونه يحكم بالجواب . ولاظرب لك مثلا ، ليستطيع فهمك هظم الموضوع نوعما . ـ فمثلا ـ ان البيت العاشر هو مختص بالفلزات وله من الالوان اللون الاصفر ، فيحكم بالجواب على السؤال بان صاحبه يطلب معدنا اصفر يدل على الذهب . . وهلمجرا .



[الجفر]

هو تكسير الحروف وبسطها ، اي بسط السؤال المقصود على قاعدة معينة يسمونها باصطلاحهم « الزبر والبينات » . فمثلا ـ كلمة « سعد » المتكونه من حروف ثلاثة هي « السين والعين والدال » : فعند ابتداء السؤال يكسر حرف السين لفظياً الى ثلاثة احرف « السين والياء والنون » ثم يكسر حرف العين لفظيا ايضا الى ثلاثة حروف اخرى فتكون « ع ي ن » واخيرا يكسر حرف الدال لفظيا فيكون كذلك ثلاثة حروف هي « د ا ل » فيرسمها صاحب الجفر حروفا في جدول افقي بعد ما ياخصها على الطريقة الجفرية بالحروف الابجديه : الابجد الكبير والابجد الصغير والوسيط والتعدادى : وبعد اخذ الساعة واليوم والوقت اذا كان ليلا او نهارا :.. الخ . حتى يأتى الى آخر عدد من اعداده ، ويسمي هذا السطر من الجدول بالأساس ثم ياخذ نظيرة كل حرف من حروف جدوله ويرسمه تحته ، فيسمى حينذاك السطر هذا « بالنظيرة » ، يعنى تكون نظيرة الالف « س » ونظيرة الباء « ع » ونظيرة الجيم « ف » ونظيرة الدال « ص » .. وهكذا .. ثم يشرع بالاساسين والنظيرتين والتتمتين وحروف الدور والقوى حتى ياتي الى جدول المستحصله . وهنا يكون الجواب .. ولكن جدول المستحصلة هذا لم يحصل لاحد حتى الآن على ما اعتقد ، وكل القافلة وقفت دونه « وأنا من جملتهم » . ويعلم الله فيما اذا كان في الكون من حصل عليه لان الدنيا لا تخلو .

[النجوم]

تر تكز قاعدة علم النجوم على الكواكب السبعة السيارة وهى القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل . ولا يدخل في علمهم هذه الكواكب الثلاثة السيارة التى اكتشفت حديثا وهى : نبتون واورانوس وبلوتو ، ومن سير هذه الكواكب السبع وحركاتها ومناظراتها الواحدة للاخرى يستنبطون الحوادث كما ترى فى التقاويم والله أعلم.



الآيات الشريفة والتعاويذ

في الواقع بل في الظاهر ان الآيات والتعاويذ تناقض تمام التناقض المبادىء العلمية المقررة ولا يقر بفعلها شخص واحد من اصحاب العلوم الحديثة ، وفي زعمهم ان لا تفعل بالاجسام إلا الاجسام ، فمثلا — ان المريض المصاب بالملاريا لا يفعل بجسمه وينقي دمه من ﴿ الميكروبات ﴾ الاقراص (الكنين) وفيما خلا ذلك فلا تأثير له . ويقولون اي علاقة او دخل بآيات يتلوها شخص او كتابة تذكرة يبتلعها مريض فيشفي من مرضه ؟ حتى ولو رأى بعينه هذه الكرامة مراراً لبقي بين الشك واليقين . . وأخيرا يؤمن . . ولكن . . تعبدا ، وما درى ان الادوية الروحانية تفعل بالاجسام اكثر من الادوية الجسمانية . كما حدث لي شخصيا حادث من هذا القبيل مع رئيس صحة لواء ﴿ .... ﴾ لا احب ان اذكر اسمه . فقد كنت يومذاك جابيا للكهرباء فاتيت رئيس الصحة المشار إليه لاستوفي ما عليه من صرفيات الكهرباء للشهر الفائت ، فوجدت داره ملأى بالمراجعين ، ومن جملتهم حمال يسمى ﴿ رزاق ﴾ يشتغل عند الهنود ﴿ البهرة ﴾ ومعه ابنته التي تبلغ من العمر احدى عشرة سنة ففحصها الرئيس فحصا تاما وقرر ان فيها (ملاريا) شديدة ثم اعطى الوصفة الى ابيها وقال له ما مضمونه ان لا يسمح لابنتك ان تاكل

هذا اليوم اي شيء خلا « الارز العنبر ولحم الفروج » وفي الليـل كذلك . وهنا سأل الحمال الطبيب عن ثمن الوصفة في الصيدلية : فاجابه لا تبلغ اكثر من ثلاثة روبيات !! .. فامتقع وجه الحمال عنـد سماع هذه الكلمة وبقي واجما في مكانه كأنه تسمر في الارض ، ثم هز رأسه واستدار على اعقابه يريد الخروج من الدار لانه ليس بمقـدوره شراء الدواء « والتمن العنبر والدجاج » في الوقت الذي لم يحصل على روبيه واحدة في اليوم . وحينذاك تأثرت من منظره حقا ، فاستوقفته وعزمت على نفسي ان اتعرض لهذه القضية مهما كلفني الامر فقلت للطبيب مولاي ارجو عطفك اولا لهذا التجاسر ، وبعد ان تسمحلي بعلاج هذا المريض ! . فبهت الطبيب وأستغرب كلامي ، ولا ادري ماذا دار في خلده تلك الساعة . هل حسبني معتوهـا ! أم حسبني مازحا ? . أو ? .. فبقينا عدة ثواني واجمين وكل منا يحملق في وجه الآخر والحمال مع ابنته واقفان جانبا ينظران إلينا ، واخيرا قطع الطبيب حبل السكون قائـلا كـيف تعالجها ? . . فقلت : اكتب لها تذكرة !! .. فاخـذ يضحك ضحكا عاليا وجسمه يهتز من شدة الضحك ثم قال : أبكتابة تذكرة تشفيها ? ! . فاجبته : نعم ! .. والف نعم :: .. وهنا استولى عفـريت الغيض على نفسه .. ولكـنه تصنع الهدؤ . وقال : دونك عالجها : : .. فرفعت القلم من على المنضدة وأخذت قطعة ورق صغيرة قسمتها الى ثلاثة اقسام ، وكـتبت الكلمات التي لا يقرأها غيري وقلت للحمال : هذه ثلاث قطع لكل يوم واحدة تبتلعها ابنتك فتشفى شفاء تاما ، ولتأكل ماشاءت سوى الحامض « الطرشى » . فالتفت الرئيس نحوي وقال : هذه البنت

ستموت حتما في صبيحة اليوم الآتي : فرددت عليه ستأتيك غدا تركض مثل « الحصان » . وحينذاك التفت الطبيب الى أبيها وقال : بكرة صباحا يلزم ان تأتي وابنتك معك . والخلاصة ان الحال انى في اليوم الثاني وأبنته معه وصحتها على احسن مايرام . وما مرت الايام الثلاثة حتى كانت البنت على غاية من القوة والنشاط . ولما سألت الطبيب عن رأيه في هذا الامر اجاب : إن هذا مصادفة من الصادفات . وحينذاك رددت عليه : أختار من بين مرضاك من هو مصاب بالملاريا . فاختار شخصا كهلا منهم ، وبهذه الطريقة عينها تم شفاؤه . ثم اختار ثالثا ، وكذلك تم شفاؤه . فتعجب الرئيس الطبيب وقال : لقد حيرت عقلي سأجن :: .. إن هذا العمل لا يقره العلم .. ولكن .. رأيت بعيني كل شيء . ولا استطيع الا ان اقول ماهي إلا قوى روحية تفعل بالاجسام فعلها او شيئ يسمى بما وراء الطبيعة .. وهكذا ايها القارئ جرى لي شبه هذا الحادث مع طبيب آخر في ملسوع حية . وثالث في ملدوغ عقرب . وكان من الحاضرين مدير شرطة ومدير واردات ومدير ناحية . ولا زلت حتى الآن انقذ حياة كثيرين من ملسوعي الحيات والعقارب والمصابين بالملاريا من الموت بدون مقابل . كله لوجه الله تعالى الذي منحني هذه الميزة ووهبني هذه الكرامة .. وأنا مستعد الآن ان اشفي كل ملسوع وكل مصاب بالملاريا في اي وقت صار بدون اجر بل لوجه الله عز وجل .

إما انكار بعض الناس لهذه الحقائق « الذين لم يشاهدوها ، بل شاهدوا شعوذة الدجالين » يكون في محله حيث لم يفعل الدجالون

حتى الآن شيئا من هذا القبيل ، فلم يشفوا أي ملسوع أو مريض بل امتصوا أموال البلهاء وجعلوا العقلاء من الناس بين الشك والريبة فمن واجب الحكومة أن تقضي عليهم القضاء التام لتريح المجتمع من هذه الجراثيم .



[الشعوذة]

هى أعمال صبيانية يتسلى بها الناس فى مجالسهم واصلها خفة يد واشياء مهيئة من قبل ، يتخذها الحاوي (اللاعب) اساسا لاعماله. فمثلا - ياخذ الخاتم من المنديل ويقلب القطنة بيضة والسلك حية ... الخ فيظن بعضهم ان هذه الاعمال نوع من السحر او السحر كله . ولو اطلعوا على خفاياها اوجدوها « طمة خريزة » عند البنات . . والاساس لهذه الالعاب هى العصا التي يجب ان يحملها اللاعب ، فلو اخذت العصا منه لبقي كالحداد بلا فحم ، ولا يستطيع ان يأتي باية لعبة ما دامت غير موجودة في يده . وعلى كل حال ان هذه الالعاب التي يعتقد بها بعض الناس انها معجزات او كرامة يأتى بها الساحر باصطلاحهم ماهى الا سفسفات من نوع التسلية ، وقد يستعملها الدجالون باعمالهم احيانا ، مدعين بان الجان جاءت لهم بهذه الكرامات ، وقلبت صور الاشياء الى صور مضادة عما كانت عليها من قبل . وإذا ما وجدوا طريقهم معبدا والسير عليها سهلا والحاضرين جميعهم من اصحاب العقول المترجرجة الذينهم لم يتمتعوا بقسط من الثقافة ، فعندئذ يجدون الجرأة فى انفسهم ويكذبون بلباقة ويستنجدون بمنطق التمويه والتزوير حتى يغرسوا في اذهان الحاضرين انهم يستخدمون الجان ولهم السيطرة عليهم ، والجان يأتمرون باوامرهم ويخضعون لسلطانهم وهم اصحاب الرياضات الروحية ولهم مالهم من القدرة وبهذا الادعاء لابد وان تكون شبكتهم قد اقتنصت بعض الفرائس . ولله درهم من رجال :: ..

[الاستحضار]

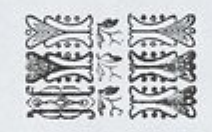
اما العلم الذي نحن بصدده هو غير ماس عليك من العلوم . فهذا علم منفرد بنفسه ومستقل بخصائصه ، فلا صلة له بالرمل والجفر والتعاويذ والشعوذة والنجوم . وهذا يسمى علم الاستحضار او الاحضار . فاذا عرف الانسان طريقته وأكمل عمله على الصورة الصحيحة وصبر على الاهوال يتاح له عند ذاك الاتصال بالماوكاين بصورة غير مباشرة وبطريقة مخصوصة . وليس هذا العلم سهلا على الانسان ، حيث تصعب ممارسته على كل من يبغيه الا الذين وفقهم الله لذلك . وهولاء قليل جداً ، اذ بامكاني ان أؤكد بان في العالم كله لا يبلغ عدد المحضرين الحقيقين اصابع الكف . وأنا بحمدالله داخل في هذا العدد وواحد من هؤلاء . واذا سأل سائل عن كيفية حصولي لهذا العلم فليستمع الى حديثي مع مافيه من تمهيد ومقدمات وقصص عجيبة اشبه ما تكون بالاساطير ، وفي الاخير يعلم التفاصيل من سياق الحديث بقدر ما يقتضيه المقام .



[الاستعراض]

قلت ان الناس تعودوا منذ القدم إنكار كل شيء لم تره اعينهم وتسمعه آذانهم او تلمسه حواسهم حتى ذهب بعضهم ابعد من ذلك فانكروا الله سبحانه مع ماله من آيات بينات تدل على وجوده وتثبت قدرته ، ولكنهم لم يقنعوا بذلك فقد ذهبت بهم الظنون كل مذهب ومالوا عن الحق ميلة واحدة ، وأخذوا يعللون ويفسرون ويقولون ويأولون حتى كلت اذهانهم وتعبت أفكارهم وهم لم يتقدموا خطوة واحدة . . وكلما تقدموا شبرا رجعوا ميلا . وانى لهم التناوش ! ؟ . ومالهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا . فهذا الكون بما فيه من عظمة وتدبير وتقدير انكرو وجود صانعه . إذن فكيف بهم وهم لم يدركوا الارواح والجن ؟ . . والآن لنعرض عن هذا الصنف من البشر ولنأتي الى الصنف الثاني المقر بوحدة الوجود والمعترف بالانبياء والرسل والمصدق بالكتب السماوية والمؤمن بما تطويه هذه الكتب من اخبار ومواعظ وامر ونهي . . الخ . فهذا الصنف ايضا واقف بين الشك واليقين بوجود الموكلين . . فتارة يميل معك الي التصديق إن حدثته بحديث مقنع وطوراً يفر وينكر ، وان جادلته في الآيات التي جاء بها القرآن من سورة الجن وغيرها يقول : ان الجن هو مايجن تحت الارض من حشرات وزواحف وغير ذلك . وبعضهم يقول : ان الجن سكنوا هذه الارض قبل مئات الآلاف من السنين وثم انقرضوا ولم يبق منهم باقية . وبعضهم

من قال : يسكنون الكهوف من الجبال البعيدة النائيه عن وجود البشر ولا لهم اي اتصال بنى الانسان ، وهذه الاشباح التى تظهر فى الاماكن الخاليه لبعض الاشخاص احيانا ماهى الا خيالات يولدها الخوف والواهمه التي يتصورها الشخص بخياله فى مكان موحش وتتجسم هذه الاشباح في عينيه حتى لكأنه يراها حقيقة لاغبار عليها .

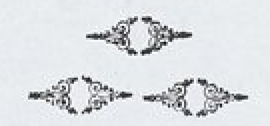


«الوجود وجهان»

لهذا الوجود وجهان : وجه واضح جلي مكشوف امام كل عين وكل حاسة كما نراه امامنا، ووجه غامض لانراه الابصار مهما حدقت فيه ولا تدركه الاذهان مهما نقبت عنه . وهذا الوجه الغامض الذي اعنيه هو القوى الروحانيه ﴿ الروحية ﴾ التي تسمى بماوراء الطبيعة وهذه القوى لا يمكن الاتصال بها مباشرة الا بمقدمات وتمهيدات مخصوصة واعمال معينة . وبعد هذه المشقات التي ستطالع عليها في هذا الكتاب ﴿ انشاءالله ﴾ نحتاج الى توفيق من الله من حيث لايوفق اليها الا من ارتضاه ربه في هذا الباب وصهر روحه في بودقة الرياضات حتى تطهرت الروح من ادرانها وتمحصت قميصا نقيا لاتشوبه شائبه . فوقتئذ يرفع الله الحجاب عن عينية فيرى العجائب والغرائب المختفيه في زوايا هـذا الكون الفسيح الارجاء . وهنا فانى لم اجعل تطهير الروح من الذنوب شرطا ملازما لمن عنده هذا العلم قبل ان يحصل علية وبعد ان حصل عليه ، بل هذا الشرط يكون ملازما له في اثناء عمله وفي خلال رياضتـه وبعد انجاز العمل قد يشرب الخمر ويزني ويقامر ويرتكب الموبقات ولكن في حين عمله واثناء رياضته لا يجوز له ان يرتكب اى خطأ ، بـل يبدأ بالصيام وان يترك اكل اللحوم ومايتنتج من الحيوان كالبيض واللبن والزبده وغيرها وان يعيش على النباتات وحسب كاللوز والجوز والبطاطس والبقول وغيرها . كما لايجوز له ان يستعمل علمه في ارتكاب الموبقات

مطلقا ، ولا يسوغ له ان يستفسر من الموكلين عما يخص المقامرات كلعب الورق واليانصيب والسباق . . الخ . وصفوة القول لا يجوز له ان يستعمل علمه في اي عمل من الاعمال المخالفة للسنن الالهية والطرق الشرعية . إذ إنه مقيد بقيود تحدد عمله وشروط معينة توقفه عند حده فيما إذا سولت له نفسه بشيء غير مستحسن .

إما الذين ادعوا لديهم هذا العلم ، وقالوا إن بامكانهم ان يفرقوا ويجمعوا ويجلبوا ويسيروا ويحيوا ويميتوا فقد كذبوا ، بل يوهمون الناس بزيهم وباطلاق لحاهم واذيال عمائمهم المسدلة على أكتافهم بانهم قادرون على شيء بتمتماتهم وبخورهم وبسبستهم . وفي الحقيقة والواقع ليس لهم من الامر شيء ، وبعدهم من اهل هذا العلم الحقيقي بعد الشياطين عن صفوف الملائكة .



[قصة دجال]

وقعت لي حادثة طريفة مع احد الدجالين الماهرين قبل ان احصل على هذا العلم . اردان اسطرها الى القراء الاعزاء ليمتعوا انفسهم بها شعاراً من اوقات فراغهم

كنت يومذاك شابا يافعا حديث العهد بهذه الاعمال ، وإذا ماسمعت بشخص لديه من النوادر في هذا المضمار اهرع اليه ساعيا على الرأس لا على القدم ، وفي ذات يوم جاءني صديق من اقاربي ، قالي : اماسمعت بالملا ناجي ؟ .. فقلت له : ومن هذا الملا ناجي : .. فاجاب صديقي .. ان الملا ناجي لديه علم الاستحضار ويحضر الجن ويكلمهم حتى تسمع كلامهم باذنك .. ولكن لن تراهم عيناك ، وياخذ الملا عن كل سؤال ثلاثين روبيه وله مدة عشرين يوما هنا وجميع اهل المدينه معجبون به وبعلمه من سادات وأكابر واشراف يقصدون اليه ويجيب عن اسئلتهم « الموكل » الذي لديه اجوبة صحيحه ويقضي حوائج الناس كل يوم فقلت عجبا ما سمعت به ؛ .. احقا ماتقول ؟ : .. واين هو نازل : .. فقال : في محلة باب الخان « ١ » فاجبته : إذن لنذهب اليه غدا :!.. أتأتي معي :: .. فهز راسه بالايجاب .

بقيت تلك الليلة اتقلب على فراش من الجمر ولم تغمض لي عين الا قبيل الاذان بدقائق ، اذ كنت افكر واقول : يا الاهي :: ..

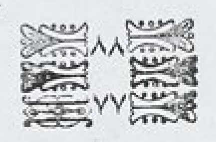
« ١ » محلة في مدينة كربلا

بشر يكلم الجن ويأتمر بامره . ان هذا لشيء عجاب :: . . فاني لم صدق حتى ارى بعيني واسمع باذني . رباه !! .. اليس الصبح بقريب حتى تطلع ملكة النهار ؟؟ .. حتى اذهب الى هذا الرجل العظيم ؟ .. ثم استسلمت لسلطان الكرى واستيقظت قبل شروق الشمس وخرجت من الدار وانا لم اتناول من طعام الافطار شيئا : فاتيت المقهى التي ضربت لصاحبي موعدا فيها ، وهناك تناولت كوبا من الشاي مع نصف رغيف من الخبز وقطعة من الجبن ، وبعد ساعة جاء صديقي وجلس بجانبي ، فدار بيننا الحديث المذكور حتى انتشر الضحى ، وبعدها قمنا وذهبنا الى دار الملا « الرجل العظيم في نظري » وعندما وصلنا الدار الفيناها مفتوحة ولما دخلنا رأيت ما ادهشني من الجمهور المحتشد في الدار ! . ففي الطابقين العلوي والسفلي من كلا الجنسين ما بين جالس وواقف وآخر يتخطى ومنهم من ضاق ذرعا بالانتظار وأخذ يتأفف ويذرع الدار ذهابا وأيابا ، فتصورت لنفسي يوم ينفخ في الصور وينتشر من في القبور ويربط الصراط وينتصب الميزان ويدعى بنو آدم الى مكان فيه يحاسبون .. كيف آنئذ يزدحمون ؟؟ .. على نحو ذلك تألب المجتمعون . والازدحام كان في اشده في المكان الذي يقرب من الرجل والجني الذي يتكلم من ايوان يقع خلفه والجميع اعينهم ثابتة في المكان الذي سيظهر الصوت منه ليسمعوا مايقوله الجني المزيف ، وبشق النفس شققت طريقا لي ولصاحبي حتى وصلنا قرب المكان الذي يجلس فيه الرجل .

ولما جاء دوري اخرجت له مائة روبيه وقلت له : إذا كلمني موكلك كلاما واضحا صحيحا فهذا المبلغ حلال لك . فابدى الرجل

التعفف ، وقال : لا آخذ اكثر من الشيء المقرر وهو ثلاثون روبية .
وحينئذ تكلم الجني المزيف واذا به صوت « كالوصواصة » التي يلعب
بها الاطفال ، ولا يفهم شيء من وصوصته ، قلت له : هذا ليس بكلام
بل « وصواصته » تقطع الصوت تقطيعا اشبه بالنطق من حيث الطقطقة .
فرد علي : ان كلامهم ونطقهم يكون بهذه الصورة فقط . فاجبته
اذن ماذا يقول ؟ . فقال : يقول - انه لا يدخن امامي . . اني اخجل
منه « وكانت بيدي حينذاك سيكارة » فما كان مني الا ان اطفئت
السيكارة وبقيت انتظر جواب ما اظمرت من نية ، فاعاد الكرة بوصوصته
المعروفة .. وهنا قال لي : الملا ناجي - يقول الموكل ماهو سؤاله ؟ ..
فليقل به حتى اعطيه الجواب . عندئذ قلت للملا : ياملا !! . انني اعطيتك
ثلاثين روبيه لاستخراج مابظميري من نية كما تدعي انت تعطي الجواب
عن الاسئلة المبهمة لا انا ابسط سؤالي لك ولجنيك ليعطياني الجواب .
فاجابني : لن يكون غير هذا !! . . فقلت له : دعني اصل اليه بنفسي
لا كلمه ، فرد علي : بمجرد ما تضع قدمك في الخطة تحترق ام يأخذك الى
بطن الارض . وقد كانت الخطة في الايوان الذي يقع بجانبه يبلغ
قطرها مترين ونصف متر على وجه التقريب ، فقلت له : ان الموكل في
وسط الدائرة على ما اظن . . فقال نعم !! . عندئذ قفزت من مكاني
قفزة سريعة وماهي الا لحظة حتى صرت في وسط الدائرة ، وانا اقول له
دع جنيك يحرقني اذا كان جنيا حقا . ثم شرعت بطمس معالم
« الخطة » بقدمي وانا اضحك واقول له . اهذه هي خطتك ؟؟ . وهذا
موكلك يا دجال ؟؟ . هات الثلاثين روبيه . وحينذاك اخذ يعبث بقلمه

الذي كان بيده وهو صامت لا يتكلم، وبقي على هذا الحال برهة من الوقت والناس كأن على رؤسهم الطير مما رأوا وشاهدوا . وبعد ذلك اخرج المبلغ واعاده لي وهو يقول : جزاك الله خيراً . فاخذت المبلغ وخرجت من الدار ولا ادري ماذا حدث بعدي . وفي اليوم الثاني سألت عنه فقيل لي سافر الملا ناجي الى حيث لم يدري احد .



[انكار وخوف وتصديق وتعليل]

في ليلة من ليالي شهر رمضان دعاني صديق عزيز من أصدقائي العاملين بسمري في هذا المضمار الى داره من بعد الافطار لتناول الحلويات وشرب الشاي ، وكان الغرض من هذه الدعوة المفاجئة لجدال حدث بينه وبين اصحاب له في وجود الارواح او عدم وجودها ، وكان الجدال بينهم حادا مزعجا قريبا ان يتخاصموا ويتضاربوا ، وبالاخير صار الحل الوحيد لفض نزاعهم البرهان الذي سيكون على يدي . وانا لا اعلم بكل هذا . ولما جن الليل تمشيت في دارنا وذهبت الى دار صديقي المومى اليه فوجدت اربعة اشخاص جالسين وصديقي معهم ينتظرونني ، وقبل ان القي التحية قاموا اكراما لي ووجوههم تطفح بشرا وتبتهل فرحا لقدومي . ورحبوا بي كثيرا وقدروني اكثر من حقي وانا لا اعرفهم من قبل حتى جعلوني اتعثر باذيال الخجل والارتباك وبعدئذ عرفني بهم صديقي . فكان احدهم تاجرا والثاني بزازا والثالث ملاكا والرابع طالبا في الصف الخامس في الثانوية . وبعد المجاملات المعتادة تناولنا الحلوى اللذيذة ﴿ وكان محل القراء الاعزاء خاليا ﴾ . وشربنا الشاي الفاخر ثم قال لي صديقي : اتدري لم هذه الدعوة وحضور الجماعة هنا ؟؟ .. فقلت : الله ادرى واعلم . فاجاب : اننا قد تجادلنا في صبيحة هذا اليوم حول موضوع لا يحله غيرك ، وهو كذا .. وكذا وبعد الاخذ والرد اجبت طلبهم . وعندما احضر البخور او عزت باطفاء

النور وساد المكان سكون رهيب والجماعة مولون وجوههم شطر الحائط ينظرون وينتظرون اللحظة الفاصلة . ولما شرعت بتلاوة الاحضار رأيت قد مضى من الوقت اكثر مما يجب ولم يحضر الموكلون .. وكلما اسأل جماعتي عما اذا رأوا شيئا ام لا ؟؟ . يجيبونني بالنفي ، بالرغم من اني ارى اشباح الموكلين واقفين ، فعجبت للأمر وعندئذ اشعلت عود ثقاب ولما انتشر نوره رايت جماعتي اكفهم على اعينهم ورؤسهم منكسة الى الارض والكل يرتجف فزعا . فضحكت لهذا المنظر ومن هيئتهم المضحكة حقا . وقلت لهم : مم تخافون ؟ . ومم تفزعون ! . وقد كنتم قبل لحظة تنكرون وتجادلون وتتشاجرون . والآن تر تجفون خوفا من « لاشيء » على زعمكم ، فخجلوا من هذا التوبيخ الرقيق ، واخذ كل منهم يعتذر باعذار لا تتفق والواقع بشيء . وبعد ان اخذت اطمئنهم واقول : لا خوف عليكم فارفعوا رؤسكم وافتحوا عيونكم . واقسم لكم ان لن يقع اى حادث تخشونه .. اذا حافظتم على الهدوء والسكينة ولما اطمأنوا ووثقوا مني اطفأت المصباح الكهربائي ثانيا وعادت الظلمة كما كانت ، والرهبة تغمر المكان بسكونها . وبعد دقيقتين صاح اثنان منهم : رأينا .. رأينا ! . هاهم واقفون امامنا . وكان اللذان رأياهما الطالب والتاجر ، فاوعزت للاثنين الباقيين ان ينسحبا ، اذ لا فائدة منهما ، لان الموكلين قد ظهروا وكشفوا انفسهم لاثنين منهم فقط . فسلما على الموكلين وكان عددهم اربعة فردوا عليهما التحية وشرع الاثنان بالاسئلة « طبعا فردا فردا منهما » وتلقيا الجواب بالتفصيل عن كل سؤال ألقياه ، وهنا لا يهمني ان كذب الموكلون او صدقوا بل يهمني النطق والجواب ،

ومن ثم طلبا منهم احضار ارواح موتاهما ، فاتوا بالارواح التي طلباهـا وسألا منها عما اذا كانوا في خير وهل هم بحاجة الى ثواب من قبيل قراءة القرآن وغير ذلك ، فمنهم من طلب ، ومنهم من قال : اني في خير ومكتف . وبعد ذلك طلبا قرائن الاحياء فحضروا لهما . وكذلك دارت اسئلة مابين قرائن الاحياء وبينهما ، وبعد ذلك صرفناهم ثم صرفنا الموكلين من بعدهم . وجلسنا نتداول الحديث مابيننا ، متنقلين من حديث الي حديث ، وعلى حين غرة اعترضني الطالب بقوله : انى الآن تأكدت واعتقدت بوجود الجن والارواح . ولكن اخبرني لم انت على هذه الحال ؟؟ . ولم يك لك قصر فخم ، وسيارة انيقة الخ ! فقلت له : من اين تأتى هذه الاشياء ، فقال : من هؤلاء الذين رايتهم بعيني ، قلت له : هل تعتقد باني الآن املك مفاتيح كنوز الارض ، . أو استطيع عمل شيء غير كدّاليمين وعرق الجبين كسائر الناس . وهنا بهت واخذه العجب . وقال : أكاد لم اصدق ماتقول فكنا نسمع ان من لديه هذا العلم بأنه مالك الدنيا ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . فضحكت لقوله وقلت : كلا يا عزيزي ، إنك لمخطيء ويخطيء كل من يظن ذلك ، فكل شيء بحساب وميزان ، وإذا ماأردت شرح الاشياء لك شرحا مفصلا سيطول بنا المقام . والآن دع عنك هذا واخبرنى ما هو رأيك فيما رأيت . قال : ان مارأيته صدق فى صدق . وليس لي فيه أدنى ريبة . ولكن الذي يحيرني هو ضعف حالك وعدم ظفرك بالحياة الممتازة التي اقدرها أنا لشخص مثلك . فقلت له : دع عنك هذا ايضا . وأرجو ان لا يكون شخصي قد شغل حيزاً من

فكرك فما أنا الا حشرة مخبؤة فى هذا الوجود المملوء بالاسرار والاعاجيب .

فتصور أيها القارىء الكريم هذا الشخص الذى كان قبلا ينكر ويجادل ويكابر والآن فى اللحظة التي كاد يشرف على الأمر الواقع خاف من ذلك الشيء الذى كان ينكره قبل بضع دقائق . وعندما حصحص الحق أخذ يعلل ويأول . لماذا ؟ . ولماذا ؟ . وهكذا ، بقية بني جنسه على شاكلة الاخ العزيز

ونحن لا يهمنا من كل هذا بقدر ما يهمنا احقاق الحق ، وكشف الستار عن اشياء كانت مجهولة ومشكوكا فيها . وفى هذا اكبر دليل واعظم برهان على وجود البارى عز وجل وقدرته البالغة الذى اخفى عالما واسعا لمخلوقة عن مخلوقه .



[القصة التمهيدية]

عندما كنت صبيا اميل كغيري من الصبيان الى هذه القصص والأحاديث واطرب لسماعها ، وكنت اود ان يكون لي اتصال بالموكلين حين أسمع نبذة من قصص الف ليلة وليلة ، وربما تصورت ان يأتي يوم اصادق موكلا أو موكلين واعاشر جماعة منهم ، وجميع الاحاديث التي طرقت سمعي بما فيها من التخويف والتهويل فلم يجد الخوف سبيلا الى قلبي . وفي مدى الحياة التي عشتها حتى اليوم الذي ابتدأت بقصتي هذه لم ارشيئا ولم اصادف شبحا من الأشباح .

وفي أواخر سنة ١٩١٨ وهي السنة الثانية التي بلغت فيها مبلغ الرجال كنت مفتشا للباص « تذاكر المرور » وبنفس الوقت رئيسا للشبانة « رئيس عرفاء شرطة » لدى الحكومة الأنكليزية ، وكانت نقطتنا « مركز الخفارة » التي كلفت بحراستها تسمى « نقطة الشوصة » في مدينة كربلا وهي تسعة أنفار وأنا عاشرهم ، وهذه النقطة تقع على اربعة شوارع وفي آخر بناء من ابنية المدينة ، والطريق الرئيسي المقصود حراسته هو طريق النجف — عين التمر . وهذه النقطة هي دار أستأجرتها الحكومة الأنجليزية لهذا الغرض حيث انها منعزلة عن باقي الدور من جميع جوانبها اللهم الا من الجانب الشرقي فانها تلاصق دارا يسكنها رجل بصير ارمل وله بنت تبلغ من العمر إثنتي عشرة سنة مهنته كشوان في حضرة سيدنا العباس « ع » يبارح داره فجرا بعد

أذآن الصبح ولا يعود اليها الا بعد الساعة الثالثة «عربية» ليلا .
وكانت يومذاك «محلة العباسية» من مدينة كربلا تكاد تكون خالية من السكان ، وقلما نجد دارآمسكونة واذا ما وجدت فلا تبلغ أل ٥في المائه وهؤلاء السكان اغلبهم من الفقراء والعجزة الذين لا يستطيعون مغادرة دورهم الخربة ، وبحكم الاضطرار سكنت هذه الشرذمه القليلة تلك الخرائب ، إذ ان الغرق الذى حدث في سنة ١٩١٦ ومدافع الترك في الحرب الاهلية من تلك السنة والفرهود والسلب والنهب جعلت تلك المحلة كومة من الأنقاض خاوية على عروشها وما اشبهها باطلال بابل ، وإذا جن الليل ساد المحلة سكون رهيب ونشر الظلام أجنحته على تلك الخرائب فيزيد النفوس رهبة ، وبعد العشاء قلما نجد انسانا سائرا فى الشوارع .

وفي مساء من اماسي الشتاء من سنة ١٩١٨ الموافق ربيع الأول ولا اذكر بالضبط أية ليلة كانت من الشهر العربى ، غير انني اذكر ان القمر كان في التثليث . ففي هذا المساء حينما اردت ترتيب الخفراء والدورية «العسس» طلب مني احد الافراد أذنا بالمنام عند اهله وهو على يقين بأنى لم ألب طلبه وكان اسمه «داود» ٠ وكان على جانب كبير من النكات اللطيفه والفكاهة ، فشرع يأتى بالنكتة تلو النكته حتى اضحك الجميع . : وبالاخير اجبت طلبه وتحملت المسئولية التي تحدث من جرآء هذا الأذن . ولما رأى زملاؤه المتزوجون تسامحا مني في هذه الآونة أخذوا يضربون على تلك الوتيرة وأقتفوا آثار زميلهم «داود» .. هذا يقول : دعني ازرع في هذه الليلة انسانا

في رحم زوجتي ولك الاجر عندالله ! . وذاك يقول : لقد سدي العنكبوت على المكان ، فدعني امزق نسيجه ! . وعلى هذا النغم اخذوا يغنون الى ان قلت لهم : ان المسئولية الكبرى — وهي فيما اذا اتى الحاكم السياسي الذي يفاجئنا بتفتيشه ما بين ليلة وليلة — فيمكن اخذها على عاتقي ، ولكن .. أخبروني من الذي يقوم مقامكم هذه الليلة بالحراسة والعسس فقالوا : الترتيب علينا والتدبير عليك . ونريد مساعدتك بالاشتراك معنا بالخفارة : فوافقت على ذلك .. ومن ثم تقرر أن العزاب الثلاثة وانا رابعهم نقوم وحدنا بالخفارة والعسس ، والستة المتزوجون يذهبون الى ذورهم ليزرعوا الزرع المعهود « الذي يخرج شطأه فيستغلظ ويستوي على سوقه ليغيض الكفار » . وقر القرار ما بيننا نحن الاربعة في ان اثنين منا يخرجان الى الدورية حتى منتصف الليل ، والنصف الاخير منه نهمله ، وأنا اقوم بالخفارة من العشاء حتى منتصف الليل ، والرابع يقوم بالخفارة من النصف الاخير حتى مطلع الشمس .

عندئذ ذهبت الى دارنا لتناول طعام العشاء وأبت الى (النقطه) مستعجلا ، فوجدت الجماعة متأهبين لمغادرة النقطه فاوقدوا لي ناراً للتدفئة اذ كان البرد قارسا ومن ثم ذهب من ذهب وبقي من بقى .. وبعد ذلك خرج الاثنان للدورية ، والثالث صعد الى الطابق الثاني ليأخذ قسطا من النوم حتى يحين موعد حراسته . وبقيت انا في الحراسة عند الباب الخارجي والبندقية بيدي والخنجر متمنطق به والشارع يكاد يكون خاليا من المرور ، مع ان الوقت عشاء ، وكانت المصابيح الزيتيه الموضوعة في الشوارع من قبل البلدية تكاد تكون لاشيء ، اذ ان

الاوساخ المتراكمة على الواح زجاجها لقلة الاعتناء بها ترسل اشعة دكناء اشبه بالظلمة ، ونور القمر منتشر على جدران الخرائب حتى دقت الساعة الثالثة « عربي » ، واذا بجارنا الكشوان قد اقبل ومعه ابنته تقوده وتحت ابطه شيء من الطعام الناشف فسلم علي سلامه المعتاد ودخل الدار مع ابنته ولا ادري بعد متى داعب النعاس جفونهما .

اخرجت علبة سكائري واشعلت سيكارة منها واخذت ادخن بلذة وانفث الدخان من فمي وانظر اليه يتلوى ويصعد بشكل عمود لولبي على ضوء المصباح الزيتي المعلق في سقف « الصفة » وهي البهو الذي يفضي الى داخل الدار ويفصل البراني عن الداخل ، وعادة ماتكون قاعدة الصفة مثمنة ويسمونها « هشتيه »

وهنا اشرفت الساعة على النصف بعد الثالثه . إذ سمعت وقع اقدام تنزل من السلم بمنتهى القوة والاستهتار ، فخلت ان رفيقي النائم في الطابق الثاني هوالذي نزل ليقضي حاجة له . ولشدة دبكه على السلم خيل لي انها تهدمت تحت ثقل قدميه . فصحت به : على مهلك ياهذا لقد هدمت السلم ؟؟ .. ويوشك ان تسقط الى الاسفل .. ولما لم اسمع جوابا اجتزت باب المابين وناديته باسمه : مصطفى .. ؟؟ مصطفى ؟؟..

فكانت الكلمات تتموج بالفضاء دون مجيب . فحسبت ان النعاس مستحوذ على دماغه فلا يستطيع الجواب فتركته وشأنه وعدت الى محل خفارتي ثانية ، ولم اتذكر كم مرت علي من الدقائق حتى سمعت كنسا في ساحة الدار ، فظننته في دار جارنا الكشوان .

فانصت الى الصوت جيدا فاتضح لي ان الكنس في داخل الدار

قمت من مكاني واجتزت عتبة المابين لاعرف من الذي يكنس في هذا الليل وإذا بالصوت يسكن فجأة ، فحسبت انى مخطيء وان مصدره قد يكون في بيت الكشوان وابنته هي التي تكنس في هذا الليل لانها لاتستطيع الكنس في النهار حيث انها دائما برفقة أبيها ، والآن تريد إنهاء بعض الاعمال البيتيه كالكنس وغيره . فعدت الى محلي ، وحينما اخذت مكاني سمعت الكنس ثانية بقوة ووضوح يصدر من داخل الدار ممتزجا بصوت شخصين يتهامسان ويتشاوران فقفزت بسرعة ويدي على قبضة خنجري واجتزت العتبة الثانية كالبرق فلم أر شيئا ايضا ولم أسمع صوتا ، فكل شيء هادئ ! .. فتشت الدار والبدروم (السرداب) والزوايا فلم أر احداً . فصحت على صاحبي النائم في الطابق الثاني فكان كانه من الاموات ، فعدت الى مكان حراستي وأنا اضحك لهذه الوساوس هل كانت وساوس حقا ؟ .. فستكشفها الساعات المقبلة .

أخرجت علبة سكائري واشعلت واحدة منها ، وما أن سحبت نفسا من دخانها واذا بالهمس يتكاثر واصوات الكلمات تتزايد شيئا فشيئا ، حتى ظننت الدار ملأى بخلائق كثيرة . واخذت الاصوات تتعالى وتتضح . ولكن .. لم افهم كلمة واحدة وهي اشبه ماتكون بلغة الببغاء الاصيلة . وحتى تلك الساعة لم يكن الخوف قد تسرب الى قلبي ، فظللت واقفا في مكاني انتظر النتيجة ، اذ تاكد لدي ان هذه الضوضاء صادرة من مخلوق غير البشر . واخذ الضجيج يكثر ويكبر ويختلف عن الحديث العادي الى أوزان معينه كالطقاطيق في الحان مخصوصة على نسق واحد ، غير انى لم افهم كلمة منها . وزادت الضوضاء

حتى اصبحت الدار اشبه بمدرسة في ساعة الفرصة عندما تخرج الطلاب من صفوفهم الى ساحتها . والعجب ان الاصوات فيهارنة خاصة لايستطيع الانسان ان يأتي بمثلها ، واللهجة اشبه ماتكون بلهجة العرب المغاربة واللحنة شجية مطربة ترقص لها النفوس الحزينة .. عندئذ شعرت بالواقع وعرفت الحقيقة . وأنا الذى كنت اتمني دائما ان تقع لي مثل هذه الواقعة وتحصل لي مثل هذه الصدفه . فهل اجمل مثل هذه الصدفة تفلت من يدى ؟ . فخاطبتهم وانا جالس فى مكانى : ايها السادة !! . اذا كان لديكم فرح او عرس فاشركونى في هذه الافراح وبوسعي ان أزيد فرحكم هذا نشوة بنغمات الاوتار « وكنت يومذاك اعزف على القانون فقط » فاذا كنتم تحبذون فكرتى هذه فاجيبونى بكلمة « نعم » !! .. أو يأتي احد منكم يكلمنى في مكاني هذا ليطمئن قلبي .

واخذت اكرر الكلام ثانيا . وثالثا . ورابعا .. ولما لم اتلق أى جواب وقفت برهة افكر ومن ثم ملأت البندقية بعشرة طلقات « وكانت المانيه من نوع ماوزر » ولم يكن السلاح الذى نحمله يومذاك راجعا الى الحكومة ، بل هو سلاحنا الذى غنمناه من الاتراك .

ومباشرة دخلت الدار الداخلي وماكدت اضع قدمي على عتبة المابين حتى سكنت الاصوات وهدأت الضوضاء . وكان قلبي قويا بسلاحي — بالبندقية والخنجر — .. اذ كنت أسمع ان الجن يخشون السلاح وكل آلة قاطعه حتي الابرة ... وعلى هذا الأساس لم يك قلبي خائفا . وقد اتضح لي فيما بعد ان هذا الكلام غير جدير بالحقيقه . فوقفت برهة على عتبة المابين والبندقية بيدي مسددة صوب الساحة وعيناى

تبحث فى ارجاء الدار شبرا شبرا فلم ار شيئا ولم اسمع صوتا سوى صوت صفير الرياح يصفر فى فناء الدار . فعدت الى مكانى وفى هذه المرة اغلقت باب المابين الذي يفصل ما بيني وبينهم . وكان الباب ذا مصراع واحد يملأ فراغ الاجتياز تماما بحيث لم يتعد القرطاس من اطرافه ولا من تحته فيما اذا اطبق تماما . فرفعت الرتاجين من اعلى ومن اسفل ووقفت فى مكان الحراسة متيقظا حذرا مستعدا للحوادث التي لا يعلم الا الله بنتائجها ، فعاودوا الكرة ، وعادت السيرة الاولى وأنا واقف في مكانى وعيناى مسمرة فى باب المابين .. ولما مضت اكثر من نصف ساعة ولم يحدث أي شيء يعكر صفو راحتي سوى اصواتهم وطقاطيقهم وهرجهم ومرجهم عاودنى الاطمئنان . فجلست قرب النار وأتكأت على مصراع واحد من الباب الخارجي وجعلت احدى رجلي على المصراع الثاني واشعلت سيجارة من سجائرى « العربيه » وصرت ادخن بلذة وعدم التفات لما يكون بداخل الدار . وبينا انا كذلك واذا بقط اسود كالفار كبير الحجم يقفز من فوق رجلي الممتدة الى المصراع ويأخذ طريقه الى مفترق الشوارع الذي يؤدي احدها الى طريق « النجف » والمقبرة العمومية ، ويجلس القرفصاء مقوما يديه ثانيا رجليه ناظرا بعينيه الطريق المذكور كأنه ينتظر ضيوفا قد أبطئوا عنه .

وكان موضع جلوسه لا يبعد عني اكثر من عشرة امتار فبقي على هذه الحال ما يقارب الثلاثين ثانية ثم قفل راجعا صوبي وقفز مرة ثانية من فوق رجلي وانا انظر اليه لارى إلى اين يذهب ، لان ليس له طريق غير السلم الذى يؤدى الى غرف البرانى . اذ ان باب

الماين موصداً. فاذا كان هذا قطا حقيقيا فليس له طريق غير السلم المذكور .. ولكن .. ماذا رأيت ؟ ! .. رأيت يجعل رأسه تحت الباب ويدخل ثم يغيب عن عيني : أما كيف دخل فلا أدري ؟! .. لأن هذا من اختصاصه هو . فمنذاك شعرت بقشعريرة تدب في بدني ، فقمت من مكاني وصرت انخطأ في الشارع لاروح عن نفسي بعض الشيء حتى وصلت الى موضع جلوسه ووجهت نظري نحو الطريق (أي طريق المقبرة علني ارى ضيوف هرنا المحبوب ، فلم أر شيئا اللهم الا ظلال سعف النخيل الذي تخفق به الرياح على ضوء القمر يمنة ويسرة . فعدت أدراجي الى مكان الخفارة ، فسمعت الهرجة قد زادت على ما قبل والضجة قد تكاثرت وبين الفينة والفينة تصدح التغاريد طيبة ناعمة طربة ذات صوت خاص كأنها الاجراس الناعمة الرنانة وكأنها تصدر من مكان سحيق . ولا اكتمك أيها القارئ فاني قد تململت تحت هذا الثقل المفزع فصرت تارة اتخطى في الشارع وطوراً أعود الى الحراسة متصنعا الهدوء مخاطبا نفسي : خس .. تخاف وأنت الذي كنت تتمنى هذا ؟ ! ..

ومهما يكن من أمر فقد لا يمكنني الابتعاد عن باب النقطة اكثر من خمسة امتار ، حيث كنت اخاف ان يداهمني أحد اللصوص او المهربين أو الحاكم السياسي الانكليزي ويراني بعيدا عن مركز الخفارة وتكون العاقبة وخيمة علي .

بقيت على هذه الحال حتى دقت ساعة سيدنا العباس (ع) السادسة (عربي) .. عندئذ سمعت وقع اقدام العسس قادمين من

منعطف الطريق . وما ان اشرف الرجلان على رأس الشارع الذى فيه النقطة حتى سكنت الهرجة وهدأ كل شيء ، وخيم سكون مطبق على الدار التي كانت قبل لحظات مسرحا للحوادث المزعجة المفرحة معا .

وصل الرجلان فسلما علي ورددت التحية بأحسن منها . سألني أحدهما : هل رأيت شيئاً ؟؟..

وكان هذا الرجل طويل القامة ، حليق اللحية ، ذا شاربين طويلين وغليظين جدا كأنهما حبل جسر على نهر ساكن ، ممتدين على خط أفقي الى آخر وجهه ، ثم ينعطفان الى الاعلى ، ويرتكز طرفاهما على اذنيه . إسمه « محمود » وهو الآن حي يرزق ، وأكثر باقي الرفاق أحياء يرزقون .

وكان القصد من سؤاله الآنف الذكر هو الحاكم السياسي الانكليزي او « ألانسبكتر » وهي رتبة تعادل اليوم « مدير شرطة » : وعند القائه السؤال علي كان واقفا اذذاك مقابل المصباح المعلق في صفة الدار ، فانعكس ظل الشاربين على صفحة وجهه ، فأحدث الظل شاربين اخريين ، فتصورت له اربعة شوارب وصرت انظر اليه بعجب ممزوج بذهول ، وثبت بصري في وجهه تثبيت القطب من الرحي . ولما رآني انظر اليه هذه النظرة الغريبة أستغرب الامر وجعل ينظرني بمثلها ، وصرنا نتراشق النظرات وكلانا واجم .: ولكن .. شتان مابين نظراتي ونظراته . فنظرته كانت نظرة استغراب وأستفهام . إما نظرتي . فقد كانت ممزوجة باشياء

كثيرة فيها التعجب والذهول والتهيب والحذر . وبندقيتي بيدي مصوبة الى صدره من حيث لايشعر وسبابتي قرب الزناد ، لانني اعتقدته من الجن ، ويعلم الله ماذا كان يحدث في تلك اللحظة التي لو اراد بها مزاحي بكلمة (هو .. أو .. بوه ..) والحمدالله لم يحدث من هذا شيء . وفي الاخير وليس بالآخر قال :—

— أما يكفي ؟!.. قم لننام فقد اشرفت الساعة على السابعة .

فقلت له :

— أيقظ الحارس النائم في الطابق العلوي كي يتسلم الحراسة مني :

عندئذ صاح عليه :

— مصطفى !!.. مصطفى !! .

.. ولكن .. دون جدوي !! .. كأنه ميت فصعد اليه وصار يهزه هزا عنيفا حتى أستيقظ ونزل لاستلام الحراسة ، وكذلك سلم محمود وصاحبه بنادقهما .. حينئذ إطمئننت أن محمودا وصاحبه ليسا من الجن بل هما من البشر ، فقصصت على الجميع قصتي وقصة شاربي محمود ، فضحك الجميع وقالوا : هذه وساوس وخيالات

ثم صعد محمود وصاحبه ليناما في فراشيهما ، واذا بصاحبي ذي الشارب المفتول ينزل السلم راكضا وهو يصيح : « إلحكـلي » .

قلت له : ما ذا حدث ؟ ...

قال : اصعد وانظر بعينيك !! .. ولما صعدت السلم ودخلت غرفة المنام رأيت على فراشه النظيف (وكان ذلك اليوم غاسلا شرشفه وكاويه) طبيخا ومرق يقطين احمر « رومي » ممزوجا كله سواه ومغطى

بالوسادة والبخار يتصاعد منه كأنه حيث من القدر في هذه اللحظة · وكان كثيراً جداً حيث لو أكلنا منه لكفانا نحن العشرة . وفضل منه وفيه عشرة قطع من اللحم تشبه كل قطعة منها صيوان الأذن (كرويطة) على عدد الانفار . ولما مددنا يدنا لنجس الطعام انكوت اصابعنا لحرارته ، وبقي كل منا ينظر الآخر ليأكل من الطعام قبل صاحبه وكلنا يخشى ذلك الاكل .. وأخيراً رميناه في البالوعة ولم نأكل منه خشية ان يؤذينا غير أني رفعت من اللحم ثلاثة قطع لابرهن بها لمن اقص عليه قصتي . وقد بقيت هذه القطع عندي مدة طويلة .. وبالاخير فقدتها . ومن بعد تأسفت كثيرا لعدم أكلي من طعامهم وندمت كثيراً ولات ندم ·

ومن ثم رأيت مايشابه هذه القصة أكثر من اربعة مرات :: ولكن ·· كانت الرؤيا بدون طعام · ولا مجال لذكر باقي القصص هنا لأن الموضوع الذي نحن بصدده غير هذا ·

« تنبعى للموضوع »

منذ الرؤية الاولى التي قصصتها آنفا تأكد لدي وجود هذا النوع من المخلوقات، وصرت مشتاقا الى رؤيتهم والاتصال بهم .. ولكن .. أنى لي هذا ؟؟ ..

شرعت باقتناء الكتب وانكببت على الدراسه مدة غير قصيرة وتركت دروسي الاصلية التي كنت ادرسها من صرف ونحو ومنطق ﴿ أيساغوجي ﴾ وغيرها من العلوم القديمة التي حصلت عليها وإن كان من كل قدر مغرفة .. ولكن ما حصلت على مرادي من الكتب التي أقتنيتها وتركت دروسي من أجلها . فعدت الى الدروس الاولى التي كنت أدرسها عند أستاذي الشيخ محمد القريني الذي هو الآن مدرس فى دار المعلمين الريفيه فى المحاويل . واليه يعود الفضل الأكبر فى تعليمي وتهذيبي، والى المرحوم أحمد الدهدشتي بن محمد علي الدهدشتي الذى درست على يده الجغرافيا والطبيعيات وغير ذلك من العلوم التي استطعت ان اتناول منها بعض الشيء .

ولكنني كنت مشغول البال متضعضع الفكر اتطلع الى الخفايا بعين حادة وبصيرة متوقدة، وأصبحت ليلا ونهارا ابحث عن أناس علني أجد فيهم من يعرف طرفا قصيرا من هذا العلم ﴿ علم الاستحضار ﴾ ولكن .. عبثا بحثت .. وعبثا انتظرت . وكنت انصت الاحاديث التي يتحدث بها الشيبة من هذا القبيل بأذن واعية، وصرت السبب

المباشر لاثارتها وبسطها دائما فى كل مجلس . اذ أحرك الموضوع متعمدا حتى يشتد النقاش وانسل منه انسلال الشعرة من الزبدة من حيث لا يشعر أحد ، علني أجد شخصا في عصرنا هذا لديه العلم المذكور فلم أجد أحدا بتاتا حتى يئست . وصرت بعد ذلك أقصد الدراويش في التكايا وابحث عن مرشديهم وأساتذتهم ، وكذلك لم اجد عندهم ما يشفي غليلي ، بل وجدتهم فارغين أفرغ من فؤاد ام موسى .

أللهم الا من بعض الحساب والرمل وغير ذلك الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، وقصدت الروحانيين فرأيتهم كذلك ... وهكذا درت على جميع من هو معروف ومشهور بأدنى او اقصى من هذا ، فلم اجد عندهم شيئا .. واخيراً تركتهم جانبا وأتكلت على الله وعلى نفسي بما استنتجته من الكتب القديمة والخطيه . والقيت مرساتي في هذا العمق البعيد الغور وقلت لنفسي : لست بجاذبها من الاعماق مهما حدث من أمر . وبقيت خمسا وعشرين سنة اصارع الاقدار والاقدار تصرعني ، وأغالب القضاء والقضاء يغلبني ، والحوادث تلفني بين طياتها كدوامة الماء فلا استطيع ان استجلي ما فى اعماق هذا الخظم المملوء بالعجائب والغرائب . وبقيت كمن بيده سراج ويفتش عن ظله ، وكلما دار والتفت كان ظله وراءه فلا يره ، وافضى ايامي فى نهار لا يحتمل وليل لا يؤتمن ، وفي نفسي قوة خفية لا تدركها الابصار .. قوة كائنة فى كل كائن بشري على صورة مجهولة يعجز عن ادراكها كل مخلوق ولا يمكن تسميتها بكل اسم الا من باب التيسير في التعريف ﴿ القوى الروحيه ﴾ ، تلك هى التي طمنتني وكلما كنت اصدم بمرارة الخيبة والفشل

أعود وفي نفسي حلاوة الايمان بمذهب الصدق الذي أعتقده في هذا الشأن .

وفي ذات ليلة من الليالي رأيت — تباشير الفرح والسرور ، اذ بدت لي اشارة خفيفة لم اكن اصدقها في باديء الامر فمسحت عيني وفركت اجفاني وادرت لولب الضياء الخافت الى الاعلى فانتشر النور في ارجاء المكان فظهرت الاشارة واضحة جلية ، عندئذ لم يبق لدي أي شك واية شبهة ، ففرحت فرحا شديدا وثابرت على العلم مثابرة تامة حتى انى الله أمرا كان مفعولا .

ومع هذا لم يطلع على سري أحد من الاصدقاء والاقرباء وحتى اهلي ، ولكن الكل يعلم انى اشتغل بالعلوم الرياضية أو « السيمية » في اصطلاحهم ، والجميع يعرف اني استاذ ببعضها .. والى هنا فقط تقف معرفتهم بي .

وبقيت سنة كاملة بعد الرؤية الاولى أنوء تحت ثقل المهمة التي اثقلت كاهلي واشتاقتها كل جوارحي فلا استطيع تركها ولا يمكنني الحصول عليها بالسهولة التي كنت اقدرها لنفسي . فكان الامل يطفو بي تارة ويرسب بي اليأس أخرى .. وليس الموضوع هو صعوبة المهمة من حيث الاهوال وحسب ، بل ما يكتنف هذه المهمة من ظلمات وأسرار غامضة يعجز عنها الادراك تجعل الانسان بين الشك واليقين حتى يعجز ويكذب ويلعن ويصخب ، وأخيرا يفر من الميدان بخفي حنين ، وربما غير مالك لعقله أو

فاقد هناءه وسعادته وربما فقد روحه التي هى اعز الاشياء واثمنها مما يلاقيه من رعب وخوف وفزع واهوال .

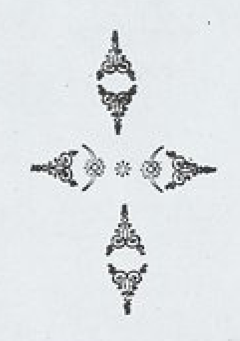
وفي الاخير أحمد الله سبحانه الذى وفقني وعليه ومنه التوفيق .

قلت آنفا رأيت اول اشارة تنبئني بالخير فواضبت على العمل مواضبة تامة وحافظت على الشروط المطلوبة تاركا كل ذي روح من المأكل والمشرب وما ينتج منها كالبيض والسمن واللبن والجبن والزبدة وغير ذلك وحتى الجماع الشرعي وعشت على النباتات فقط كالجوز واللوز والسكر وما اشبهها ، قائم في الليل في وسط دائرة الامان في مكان مخصوص حتى يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود . وفي النهار عندما أجد نفسي فارغا من اعمالي الملزم باداتها ارتل بعض الكلمات المطلوبة همسا حتى تم لي ما اريد على قدر ما اديت من خدمات وأعمال مختصة بالموضوع .. وبحكم الطبع بقدر ما يؤدي الانسان من ثمن يأخذ بقدره سلعة .

والآن قد استراح ضميري وهدأ بالي وعرفت الله اكثر مما عرفته سابقا وآمنت به اكثر ايمانا ، وتحقق لي ما كنت اصبو اليه واجهله من قبل وجهله جميع الناس على اختلاف طبقاتهم الا من وهبه الله هذه القوة واسبغ عليه نعمته وخصه بعنايته ، والعناية لا تعجز عن تسهيل السبل لمن تريد .

أجل : وصلت الى مطامحي — وان كان قليلا من

كثير — لكن .. بأي ثمن وصلت اليه ؟؟ .. وصلت اليه على جسر من الفزع فوق بحر من الاهـوال . كاد أن يودى بحيـاتي او بعقلي ، وقد ارهقني هذا الفوز من أمري عسراً .

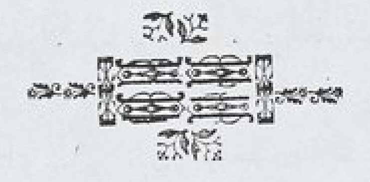


« التصميم على كشف السر »

لقد وطدت العزم على ان اكشف الحجاب وازيل الشكوك عن قلوب الناس وافتح طريقا سويا لمن ضل الطريق ، اذ ان قسما من الناس قد انكر ما بجانبه من خلق الله وراح يبحث عن سكان المريخ بكل وسيلة . وقد عزمت على هذ بالرغم مما يكتنف موقفي من غموض وظلام ومهما توضع في طريقي من عقبات وتحيط بي من اشاعات وهجوم حولي من غمز ولمز ، فلا يهمني ما يقولون وماذا يعملون فقد عزمت على السير الى الامام وان كان الجحيم فى طريقي ولا ابالي مادام الحق بجانبي والصدق سلاحي فلتنشب الحرب بيني وبينهم وستكون اعظم من حرب شر بورغ فتلك سلاحها النار والفولاذ وهذه سلاحها الادلة والبراهين وقد اخذت الاهبة والاستعداد لهذه المعركة الحامية والحاسمة ما بين الحق والباطل ، وتدرعت لها بدروع قوية جدا لا ينفذ فيها أي سلاح مهما كان نوعه ، ولا شك سيكون النصر فى هذه الحرب حليفي مهما طال امدها ومادمت مستعدا لدفع الباطل بالحق وازاحة الكذب بالصدق وقرع الحجة بالحجة . فمم أخاف ؟؟ !! حينما يطلب مني البرهان اقدمه عينا ، ووقت مايراد مني الدليل اعطيه محسوسا .

نعم !! .. متى ماحضر العلماء الماديون وغير الماديين والرجال الذين لهم القول الفصل وطلبوا مني البرهان واحضرت للامتحان لابرهن لهم بالواقع واستدل بالحقيقة واحضر لهم الارواح والجن وقرناه

الاحياء حتى يروا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم عن كل ماقالوا وما سألوا .
وهل بعد هذا يطالب برهان أكثر ؟؟ وهل بعد هذا يخامرهم شك ؟
فلا اظن ذلك .. اللهم الا اذا كان فيهم مكابر أو مغالط ، بل اقول
معتوه ومجنون بجنون الجدل والنزاع . واذا كان هناك أناس تخامرهم
الشكوك والريب فيما رأوا وفيما سمعوا فهذامالا حيلة لى فيه وهم احرار
فى آرائهم غير أنه لاحق لهم فى ان يتهمونى بالكذب والدجل .



(مقدمة القصة المنشودة)

كل هذه التمهيدات والمقدمات التي مرت عليك أيها القارىء العزيز ماهي الا اساس القصة الواقعية والتي هي أساس كتابنا هذا والمسماة بقصة ﴿ اليهودي التائه ﴾ والتى شغلت ذهن الشرق والغرب عشرين قرناً ونظم فيها شعراء الغرب قصائد مطولة وكتب عنها الكتاب قصصا ضافية وتحدث العلماء بها احاديث اشبه ماتكون بالاساطير وهم صادقون في احاديثهم وحاشى ان يكذبوا .

اما أنا فكنت اسمع باليهودي التائه ولا أدري من هو وماهى قصته ، ولا اذكر يوما من الايام بأنى قد اهتممت بقصة هذا اليهودي ولا قرأت سطرا واحدا منها ، حتى اليوم الذي ابتدأت بقصته ، كنت أظن بأنها قصة اسطورية او تشبه قصة ﴿ الجندي المجهول ﴾ الذي تهتم الدول بأجمعها بأسمه وتشيد له التماثيل وتبني له الاضرحة وتكللها بالازهار وتصرف على أسمه وذكراه المبالغ الطائلة وهو شخص مجهول لاوجود له قطعا ، هو اسم بلا جسم .

وفى ذات يوم عندما كنت اطالع صحيفة أورواية لا أتذكرها بالضبط وقع نظرى على عنوان بحروف كبيرة ﴿ قصة اليهودى التائه ﴾

قالت الصحيفة أو الرواية : ان أحد القسيسين والرهبان قد رأى هذا اليهودى وتحدث معه وجالسه وهو الآن حي يرزق يجوب الفيافي والقفار ، وما بين كل قرن أو قرنين يظهر للعيان تارة ويختفى

أخرى .

ولما أتيت على آخر القصة طويت الصحيفة وبقيت افكر فيها متعجبا من هذا اليهودى وقصته . وكان في نفسي صراع من امره تارة اقول : لا يمكن هذا الامر ، وطورا اعترف وأقول : ان الله قادر قدير ولا غرابة في الامر . وان الاخبار عندنا تطابق بعض الشيء هذه القصة من حيث طيلة العمر . مثل الخضر وعيسى ﴿ع﴾ وأصحاب الكهف والرقيم والمهدي ﴿ع﴾ في غيبته . فهؤلاء كلهم احياء يرزقون متنعمون في الحياة الدنيا لورعهم وتقواهم . وهذا حي معذب للعنة التي أنزلت عليه .

غير انني لا أعلم لماذا توجه فكرى كل التوجيه لهذه القصة . وأعطيت اهمية زائدة لها فهذا سؤال يصعب الجواب عليه .

لقد كانت افكارى مضطربة وعقلي متضعضع كأنى ف ﴿بحران﴾ تطوف بي الافكار من منطقة الى منطقة في هذا الكون الفسيح ، وتتردد بى من زمان الى زمان ، وتنتقل بي من مكان الى مكان ، وصور الاشياء لاسيما صورة اليهودى التائه تتكرر أمام مخيلتى عكسا وطردآ ، وكنت تارة اكتب وطورا اغتبط حسبما تؤثر تلك التخيلات في نفسى . وكلما اردت الفرار من هذه التخيلات والتصورات اجدنى مجذوبا اليها من حيث لا اشعر ، وكنت أخشى ان تزل قدمي الى الهوة التي فاغرة فاها امام عيني ! اذ أن الطريق وعر المسلك ضيق العرض واخشى ان يخالج قلبي شك في القدرة ﴿والعياذ بالله﴾ فكنت اكافح وأناضل للتخلص من هذه الافكار .. ولكن .. دون جدوى ، وفجأة لمت ف رأسي

فكرة اثارت طريقي في هذا الديجور فتنفست الصعداء وقلت لنفسي لم كل هذه الحيرة ؟؟ ولك وسيله تستطيع بها كشف هذه الحقيقة أو بعضا منها وان كانت الطريقة مقرونة بالاتعاب مصحوبة بالاهوال وتحتاج الى أمد طويل ٠٠ ولكن لا بأس أريد كشف الحقيقة مهما كلفني من ثمن ٠

عندئذ وطدت العزم على السير في هذا السبيل فجهزت نفسي بالاستعدادات اللازمة وتهيأت للمعركة الحاسمة ٠ فارتديت ملابسي النظيفة ورسمت خطة الامان فى المكان المخصوص للعمـل وجلست فى وسطها وشرعت بتلاوة الآيات المقدسة مدة سبعا وأربعين ليلة الى ان حضر الموكلون ٠٠ وبعد تبادل التحية المعتادة سألت منهم عن اليهودي التائه وقصته فيما اذا كان لها نصيب من الصحة . فأجاب واحد منهم :

اني سمعت بهذه القصة .. ولكنني لا اعرف شيئا عنها فيما اذا كانت صدقا او كذبا . وقال آخر .

سمعت بها ٠

والحاصل ٠٠ كانت اجوبتهم متضاربة ومتباينة ٠ فقلت لهم :

هل بالامكـان احضاره فيما اذا كـان له وجود حقا ؟؟ ..

فأجابوا سلبا ٠

وقال واحد منهم :

- إحضر الموكل « فلان » وسله . أظن بوسعه احضـاره لانه قوي مكين .

فأحضرته بعد أعمال مخصوصة وشاقة جداً . ولما حضر الموكل سألت منه السؤال المقصود .

فقال : أجل يمكن ذلك فيما اذا أديت العمل على الوجه المطلوب فحينذاك يمكن احضاره .

فعرفت مقصوده وشرعت بالعمل المطلوب اسبوعا كاملا واتممته بثلاث فصارت عشرة كاملة . تركت اكل اللحوم وما ينتج من ذي الارواح ، قائم في الليل متنسك في النهار الى ان حانت الساعة المقصودة .

جاء الموكل العظيم المختص بالعمل وبصحبته موكل آخر وقف خلفه . وبعد تبادل التحية قلت : أريد احضار اليهودي التائه .

فبقي صامتا برهة ثم قال : أمهلني الى بكرة لأتدبر الأمر حتى آتيك به اذا وجدت الى ذلك سبيلا .

فتمهلت الى اليوم الثاني وفي الليل دخلت دائرة الامان وبعد اتمام العمل حضر الموكل ومعه رجل نحيف الجسم ، ضعيف البنية ، محني الظهر قليلا قد غيرت متاعب الحياة بشرته واسبغت عليه طابعا خاصا وكانت عيناه تضطرب في وقبيهما اضطراب الزئبق في كف الاشل واكمداد الألم باد على وجهه كالدخان فوق الاتون المتوقد ، وكان كأنما ينوء تحت ثقل ملابسه التي يرتديها . ويلهث ويتنفس بصعوبة ومشقة كمن قطع شوطا بعيدا في السير واعياه المسير ويرتجف كالسعفة بالريح ، وقد علمت ان هذا ناشيء من الخوف الذي استولى عليه ، وكان لباسه عاديا ، مرتديا قميصا طويلا وفوقه جبة طويلة تغطي جسمه

تغطيه تامة وعلى رأسه عمامة بيضاء صغيرة الحجم متبعثرة الطوية غير منسقة تشبه عمائم المغاربة . وعلى كل حال كانت هيئته مزرية . ولو سئلت عنه ما استطعت التعبير بغير لفظة ﴿ بائس ﴾ . وكان واقفا على قيد متر ونصف المتر مني والموكل بجانبه والظلام دامس :. اللهم الا من نور المصباح الموضوع بجانبي الذي لا يكاد يظهر نوره للرائي الا كجمرة السيكارة او اقل منها بكثير . وهذا الضياء وضع بحكم الضرورة حيث فيما اذا نسيت بعض الكلمات يكون باستطاعتي إظهار النور نوعاما لمراجعة الكلمات المنسية . ومن ثم أعيده الى السيرة الاولى . والرجل واقف خارج الدائرة على بعد متر ونصف المتر كما قلت آنفا — وحتى لو كان قريبا مني وعلى متناول يدي لم يكن باستطاعتي لمسه . اذ ان لمس جسم اي شخص لا يجوز في عرف علم ﴿ الاستحضار ﴾ عندئذ مددت يدي الى لولب المصباح ودرته الى الأعلى فانتشر النور في أرجاء المكان وما كاد صاحبي يرى النور ويظهر شبح الموكل امامه حتى ستر عينيه بكلتا يديه واتقى هذا الضوء كما يتقي الانسان ضوء الشمس الفجائي بعد ان قضى مدة طويلة في كهوف الجبال العميقة واخذ يرتجف هلعا ويحاول اجتناب رؤية من بجانبه ورؤيتي ايضا بكل ما أوتي من جهد . وقد عقد الخوف لسانه ، وكان يريد النطق بالتوسل والتخضع فلا يستطيع . وقد خيل لي انه سيلفظ انفاسه الاخيرة وهو بين يدي . فقلت له لاطمئنه : ياهذا !! .. انني رجل مثلك فلا تذهبن بك الظنون كل مذهب وانت هنا في مكان أمين .. هدأ من روعك وكن ثابت الجأش !! ..

عندئذ رفع يديه عن عينيه واخذ يتمتم بكلمات منقطعة : ال .. ال .. ال .. وبالنتيجة ما استطاع اتمامها .

واذا سأل سائل كيف حضر هذا اليهودي ؟؟ . ومن اين اتى فلا يجد جوابا عندي لان هذا سر من الاسرار احتفظ به لنفسي .

تركت الرجل مدة حتى عاد اليه رشده واطمأن بعض الاطمئنان وأعتقد نصف اعتقاد بأني بشر من ابناء آدام وحواء . وعلم اني لا اقصد أذيته . وقد قرأت في وجهه ما كان يدور في خلده . كأنما اقرأ كتابا مفتوحا . ففي تلك اللحظة كان يفكر بأنه في اي مكان هو ومن الذي جاء به الى هنا ؟ ومن هذا الشبح الذي واقف بجنبه ؟ ومن هذا الرجل الجالس أمامه يكلمه بكل هدؤ ؟ ويهدىء من روعه بكلماته اللينة ؟ وماذا يكون القصد من حضوره ؟ وما الذي يريده منه ؟ وهل هو بشر حقا من دم ولحم ؟ أم هو عفريت من عفاريت الجن ومردة الشياطين متقمصا بثوب البشرية .

تركته يفكر حتى عجز عن التفكير ولم يجد حلا لما فكر به والى هنا قلت له كن مطمئنا ياهذا من كل جهة ، فنظر ني بعينين مرتجفتين متنقلتين من قمة رأسي الى اخمص قدمي . وبقي يفحصني بها كانما يريد ان يكشف اسرار قلبي كما يكشف اصحاب الاشعة رنتجن ماوراء الاجرام الكثيفة .

قلت له لاتخف اريد ان اسألك بعض الاسئلة . فهل تعاهدني بصدق الجواب . وعبثا انتظرت الجواب . فكررت عليه الكلام ثانيا وثالثا ورابعا فلم اظفر منه بأي جواب . ولما شددت عليه القول :

قال : دعني وشأني !! .. أنا رجل تعس .. يئس من هذه الحياة وبودي ان اسير بأسهل طريق الى الحياة الاخرى علني اجد راحة هناك .

قلت له ياهذا كن على يقين انك في مأمن من الخوف : وأني لم أحرجك بأي سؤال القيه عليك ، فان شئت الجواب عنه فخبر على خير وإن لم تشأ الجواب فلا جناح عليك . فأخذ يفكر كمن يستعيد سلسلة افكار متقطعة الحلقات ثم أجابني بلهجة المفكر المتأمل :

— ماهي اسئلتك ؟؟

— قلت : اسئلتي بسيطة وما اظنها تضيرك لو أجبتني عليها بالصحيح . قال

— بربك قل لي اولا : كيف انا حضرت الى هنا ؟ ومن هو الذي احضرني ! ومن تكون انت !

— اما كيف حضرت الى هنا ومن الذي اتي بك هذا سؤال يعسر الجواب علية ولا يعنيك كيف حضرت فقد حضرت والسلام .

إما انا فبشر مثلك فيما اذا كنت انت بشر . آكل واشرب كباقي بني الانسان و كما قلت لك سابقا : لا تذهب بك الظنون كل مذهب ، ولا تظن بي سوءآ . كما وأنني لا أجد مانعا يمنعني من مخاطبتك بالاحترام اللائق بك .

— إنك طيب ولطيف ولا أجد كلمة أخرى للتعبير عما اريد .

— اذن تجيب على أسئلتي بالصدق .

— كلا !! .

— لماذا ؟ .

— هذا ما قلته لك اذا كنت تحب الصدق .

— ليس من مصلحتك السكوت ياهذا يجب ان تتكلم وتفضى بكل مالديك من المعلومات التى اسألك عنها .

وما كاد يسمع هذا الكلام حتى تخشبت اطرافه وغشيته الغاشية . وحينذاك قلت : ربي رحماك !! . ان الرجل يلافظ نفسه الاخير ، . وفي الحقيقة اذ لو حدث له حادث فى هذه الآونة لاعتبرت نفسي مجرما فى حقه ، وأحمد الله قد عادت اليه الحياة بعد برهة . فقلت :

— ماذا دهاك يارجل انت هنا فى امن من كـــل اذى ورجائي منك ان تجيبني على بعض الاسئلة التي اوجهها اليك .

— تعاهدني بشرفك العربي وذمتك المسلمة على ان لا ترهقني بالاسئلة ! ! .

— نعم اعاهدك .

— وتعتبر ان كلينا انسان له مبدأ وشعور ولا باعتبارك السيد في هذا الموقف وأنا المسود ؟؟ .

— نعم بشرط الاستفادة من اجوبتك .

— ولا تنزعج حينما تسمع كلاما لايتفق ومبدأك !! .

— نعم !! .

— ولما افرغت كل ما عندي من وسائل الاقناع اجاب طلبي بشروط معينة لا محل لذكرها هنا .

(تمهيد وتنبيه)

ايها القارىء العزيز استمع الى حديث اليهودي التائه والاسئلة التي وجهت اليه والاجوبة التى نطق بها حرفيا سوى بعض التعديل والرتوشات ﴿ من حيث صيغة الجمل والاعراب والنطق بالالفاظ العربية الصحيحة فقط .

وعليه لم اكن مسئولا اذا كانت الاجوبة صحيحة او غير صحيحة او اذا كان بها لغا ودورانا وما فيها من الالغاز والأحاجي التي يصعب تفسيرها وتأويلها . وها انا انقلها اليك بحذافيرها حرفيا لعلك تعرف معناها وتفك رموزها وتستطيع تأويلها والله الموفق .

« البنت الاولى »

«١»

سألته :ـ
ـ من انت وما اسمك ؟ .
ـ انا من سدل الدهر عليه ستار الكتمان كى لا تراه اعين الناس .
ـ ما اسمك ؟ ..
ـ يوسف !! .
ـ واسم أبيك ! .
ـ صهيون .. أوصيون ...
ـ واسم امك ! .
ـ سارة !.
.. وما اسم جدك ؟! ..
.. جدى الاكبر الذى انتسب اليه ﴿يعقوب﴾ وجدتي الكبرى من الامهات هى .... ليا .. راحيل وسكت برهة ثم اردف قائلا :
ـ اجدادى وجداتى أطياب .
ـ واستمر فى حديثه فلم اقاطعه ، ولا عرفت أى الاسماء صحيح . ليا أم راحيل فقال :
ـ انا من سلالة الاسباط الذين لهم الحكم في الارض .. أجل هكذا

بالاخبار !! .. واظن الساعة قد اقتربت او كادت ، فستبرز اطواد وتدك اخرى .

قال اليهودي ذلك وتأوه وأردف :

- ليت أمي لم تلدني !! ..

فقلت :

- لم افهم كلامك .

- الست الذي عاهدتني على ان لا تحرجني بالسؤال والجواب ؟ ...

— نعم !! .. وأنت دخلت تحت شروط معينة ، منها أفهامي لبعض الاشياء .

- لقد فهمت بعضها ان لم تفهم كلها ، وستفهم بعضها ان لم أقل كلها وأعتقادي بلك ان تفهم كل ما اقول .

فرأيت من الواجب ان اتخذ أمام هذا قليلا من الحرمة الواجبة لنفسي ، فتظاهرت كأني فهمت كلامه فسكت ثم قلت :

- نسيت ان اسألك عن مهنتك !..

- مهنتي كل شيء ... تنقلت بين إحضان كل المهن .

- يقولون انك أسكافي ! .

- هذه واحدة من مهني .

- هل أنت حقا اجرمت في حق المسيح وأستحقيت ما أستحقيت منه من اللعنة ؟ ..

وما كدت ان الفظ هذه الكلمة البسيطة وبمجرد وصولها الى أذنه أحدثت فيه رجة وهزة عنيفة . وكأن بركانا قذف حمما من

أحشائه على بدنه . ولكن تابعت قولي :

- لم اقصد أهانتك بكلامي هذا وان كان عسيرا عليك : ف تعده أهانة !! .

- ما لفائدة من التحدث عن داء لا يرجى له شفاء في الحال الحاضر ، والبحث في امر قال القدر كلمته فيه ونفذت مشيئته . والجواب يكون علي غلا لا يطاق أرسف فيه ، وهو أمر لا يسعني ان اتوق اليه بمحض إرادتي . وكنت احسب قضيتي قد طويت مع الماضي ولن يسمعها الناس من جديد .. ولكن .. هذه أشاءة الاقدار . وسؤالك هذا كاف لان يفتح الجرح من جديد ويسيل الدم من جديد كما كان الحال في الماضي البعيد .

- أحب ان أسمع قصتك من الابتداء حتى النهاية . ولهذا الغرض أحضرتك .

فنظرني نظرة انكسار وقال :

اذا كنت لا تسخر مني ولا تهزأ بعواطفي وتقسم على ذلك فيمكنني ان اقص عليك القصة التي هي سبب شقائي .

- أطمئن من هذه الناحية .

عندئذ تململ الرجل في مكانه وعدل عمامته كأنما يستعد لحديث طويل عريض ثم تنحنح وقال :

- كنت في العاشرة من العمر ، وفي صبيحة يوم من الايام خرجت من دارنا فرأيت الشوارع غاصة بالمارة والطرق مزدحمة بالناس والحوانيت مزدانة واصحاب المهن والكسب مالئي دكاكينهم بالحاجيات من

مأكل ومشرب وملبس والعاب الاطفال وغير ذلك والمدينة تموج بالكتل البشرية فعلمت أن هذا اليوم عيد لأمة من الامم ، ولا أتذكر لاية امة كان ، وأنا لم إملك فلسا واحداً في جيبي لاشترى بعض المأكولات التي يسيل لها لعابي كلما نظرت اليها . اذ كان أبي شحيحا علي بهذه المادة كثيرا ، والسبب في ذلك هو زوجته الثانية ، حيث ماتت امي وانا ابن خمس سنين وكانت زوجة والدي توغر صدره علي لغير سبب مبرر .
والحاصل كنت تارة أفرح وأطرب للمناظر الجميلة التي تصادفني وطورا اكتئب حينما اتذكر بان لم يكن لدي فلس أبتاع به شيئا وان كان عديم المذاق . فسرت أذرع الشوارع والاسواق وأسير على غير هدى وعلى غير وعي مني . وبينما أنا على هذه الحال إذ وجدت نفسي خارج المدينة عند آخرها . ولما اردت الرجوع من حيث اتيت وقع نظري على بقعة تبعد عني نصف ميل تقريبا .. حديقة غناء جميلة .. والناس في طريقها ما بين ذاهب وآيب ، فتاقت نفسي الذهاب اليها ، فوجهت وجهي شطرها وأنا احسب نفسي سعيداً كلما فكرت في الوصول اليها والاستمتاع بمناظرها . ولعلى اكل من اثمارها ولا ادري الآن هل كانت حديقة حقا أم يد الاقدار لعبت ببصري حتى أستدرجتني الى المشقات والمتاعب ، واحسبني لم اقطع نصف المسافة حتى حدث حادث فى الافق .. إذ رأيت اعصاراً يرتفع من جهة الغرب نحو السماء شيئا فشيئا كأنه جدار من دخان ، وما هي الا لحظات حتى اظلم الفضاء والعاصفة تشتد وتقوى وملأت الافق بدويها وزئيرها وسدت ما بين المشرق والمغرب . فجلست عندئذ على الارض كي لا

اضل الطرق ، منتظرا هدوء العاصفة ، وفتحت عيني فتحة قليلة لأرى أية جهة من الجهات أتخذتها عند جلوسي فيما اذا أردت مواصلة السير عند هدؤ العاصفة ، فلم أر شيئا الا لونا أحمر يميل الى الدكنة ، وكأنما انسدل على عيني ستار كثيف حجب عني الدنيا . فبقيت جالسا في مكاني ولم أدر كم مر علي من الوقت وأنا انتظر هدؤ العاصفة وعبثا انتظرت ، حيث كلما تقادمت الساعات اشتدت العاصفة وصبت الطبيعة غضبها صبا ونذرت بشر مستطير ، فبقيت ساعات طويله حتى هدأ زئير العاصفة بعض الشيء وانكشف الضباب نوعما فقمت لاسير نحو المدينة وأنا لا أبصر شيئا فسرت على غير هدى ظنا مني موجه وجهي نحو المدينة فسرت شوطا من الوقت واذا بظلام الليل قد اقبل وأتى على هذه البوادر فطواها تحت جنحه وغابت فيه وانا لم اصل المدينة ، فطفقت اصرخ وأبكي وأنادي باسم كل من اعرفه من اهلي ومن أقاربي فلم يرد علي غير الصدى ... صدى صوتي الذي يتموج فوق الوادي وينتشر في الفضاء وينقطع من شهيق نحيبي ويعيد علي مسمعي ما انطق به يا ... يا ... يا ...

ومما زاد الطين بلة غشيان الدمع ، فصرت لا أبصر طريق وأسير كالأعمى .

وأيضا لا أدري كم مرت علي من الدقائق والساعات ، حتى عادت الطبيعة تصب غضبها من جديد بشكل يختلف عن الاول ، اذ أخذت السماء ترعد ونيران البرق تضيء الفضاء متتاليه بلا انقطاع بحيث تستطيع ان تقرأ على وهجه ووميضه كتابا . وبرد الطقس وتساقطت الامطار

وعلى وميض البرق رأيت شجيرة تظللت تحتها اتقاء من الماء المنهمر وأنا أبكي وأسمع بين الفينة والفينة أنينا يصدر من مكان ما . فزادت مخاوفي وتضاعف هلعي وقد تصور إلي ان ارواح الموتى خرجت من قبورها تسبح في فضاء الوادي ونحن وتئن لمصيرها المجهول . وظننت ان شمس حياتي قد آذنت بالافول وهذه آخر ليلة من ليالي حياتي « وليتها قد كانت !! . » ثم حدث مالم يكن في الحسبان اذ ظهر اصبع القدرة العظمى التي دونها قوة الارض والسماوات مجتمعه .

ثم غطى وجهه بكلتا يديه واخذ ينتحب كالاطفال ويتأوه ويقول :

ليت السباع اكلتني !! . حبذا الذئاب افترستني !! . ليت النمور مزقتني ، وسكت برهة ثم واصل الحديث قائلا :-

فسمعت حفيفا من خلفي ، فالتفت الى الوراء لاتبين مصدر هذا الحفيف واذا برجل عملاق منتصب القامة واقف خلفي - على رأسي - وهو صامت لا يتكلم . فارتعدت فرائصي وصرت اهتز رعبا وأرتعد هلعا وأصطكت اسناني وجمد الدم في عروقي . وكلما هممت . بالكلام لاسأله من هو وأتوسل اليه فلم يساعدني لساني بالنطق . ثم فهت بكلمة متقطعة : م . . . م . . . ن . . . أ . . . ذ . . . ت . . . يا . . . هـ . . . ذا . . ؟؟ .

فقال :

- لا تخف !! . قم معي لاوصلك الى داركم ! .

فأجبته :

- أخاف منك ؟ . قل لي من أنت أولا ؟ .

— لا يهمك من أنا . الست تريد الذهاب الى داركم ؟ .

- بلي !! .

- إذن قم وأسرع !! .

فقمت وانا اقول له :.

- بربك هل تذهب بي الى دارنا ؟ .

أم تقتلني في الطريق وأموت على يديك ؟ .

— انك تبقى وأنت بمنجى من الموت ، وأن الموت لا يأتي الا على الصالحين .

وسيئذاك لم أدرك ما يقول ولم افهم ما ينطق .
وحتي الآن لم اعرف من هو ذاك الرجل الذى نجانى من الاخطار ودفعني الى العذاب . ولكن لا اشك انه كان من الخلائق غير المنظورة ، واليد التي اخذتني لتنجيني من الموت ماهى الا يد الاقدار التي فتحت لي باب العذاب على مصراعيها واتمت وظيفتها وفي دقائق معدودة وصلنا باب المدينة . عندئذ وضع يده اليمنى بين كتفي ودفعني دفعة قوية وقال :

— اذهب الى حيث يدعوك داعي الزمن ؟ .

ولما أفقت من هذه المباغتة التفت لأرى الرجل ، فلم ابصره ، ولا أدري ألى السماء صعد أم في باطن الارض نزل ؟ . وهكذا الاقدار لا تغضي عن ابن آدم وما الانسان الا آلة بيدها تديره كيف شاءت وتنفذ مشيئتها بالرغم عنه .

وهنا سكت قليلا ، وعينه شاخصة الى الفضاء لا تتحرك أبداً

كأنها معلقة بخيوط معقودة بأزرار السماء . ومن ثم نظرني نظرة استعطاف وتوسل كأنما يقول لي : أترك هذا الحديث ولو موقتا لأنني لا أستطيع متابعته وأنا على هذه الحال . فقلت له :

- أتحب أرجاء الحديث هذه الليلة على ان تتمه في الليلة الآتية ؟ .

- شكراً لك !.

- هذا لك .

ثم اشرت الى الموكل بصرفه . وماهي الا لحظة حتى تلاشى شبحه فلم اجد له أثرا ، فكأنه ذاب في الجو أو تقمص الى ذرة غير مرئيه فقمت من مكاني وما ان تخطيت الدائرة حتى سمعت صوت الأذان يتعالى من المآذن ، فذهبت الى الدار ونمت نوما عميقا وفي الصباح استيقظت على عادتي لانجاز اعمالي المرتبط بها . ولما جن الليل اخذت استعدادي اللازم لاتمام الحديث المذكور .

(الليلة الثانية)

«٢»

جلست في دائرة الاماز ، وبعد العمل المطلوب حضر الرجل وكان في هذه الليلة اقل اضطرابا من الليلة الاولى فجلس وبدأ الحديث فقال :

— رغم مرور زمن طويل ما يقارب الالفي سنة على هذه الحادثة فلا اعتقد بأنني يوم من الايام سأنسي ظروفها واغفل ملابساتها ولن تمحي من مخيلتي مهما مر عليها من الاعوام وتقادم بها العهد . وصفوة القول جئت الى دارنا وطرقت الباب ففتحها لي ابي . وحينما وقعت عيناه على عيني فاجأني بالسؤال :

— اين كنت في هذه الليلة ؟. والى هذه الساعة ؟. وهنا لم يمهلني لاجيب على سؤاله بل مسك بيدي وسحبني الى الداخل بعنف وهو يزبد ويرعد . فأحسست أن حكما قاسيا يطويه القدر لي في هذه الليلة ، فأخذت أصرخ واولول وأبكي واتوسل واستنجد بزوجة والدي التي هي مصدر مصائبي .. ولكن .. دون جدوى .

وسكت قليلا ثم عاود الحديث فقال :

— أجل ان والدتي توفيت وأنا ابن خمس سنين ، فتزوج والدي بعد عام من وفاتها بأمرأة من بنات كبار الطائفة المشهورين ،

وعندما دخلت هذه المرأة الدار جعلت تنظرني بعين الضراء للضراء .
وكانت دوما وأبداً توغر صدر والدي علي وتخلق التهم خلقا وتنتحل
كل ناقصة تلصقها بي ، فكيف بها في هذه الليلة وقد وجدت طريق الافك
معبداً ؟ . وشارع البهتان مفتوحا ؟ فأضافت الى درهم الحقيقة قنطارا
من التهم المبتكرة التي تجيد نسجها نسجا متقنا .

صاح أبي — سامحه الله — على زوجه :

- علي بالحبل والعصاه .

فشرعت بالبكاء والعويل وبسرد قصتي بكلمات متقطعة غير مفهومة : وأنا على يقين الآن ان ابي وقتذاك لم يفهم منها شيئا حيث كان الغضب مستوليا على عقله وشيطان الوساوس مستحوذا على شعوره بسبب وشاية زوجه . هذا بالاضافة الى الكلمات المبتورة التي كانت تخرج من فمي خلال شهيق المتواصل — فبالطبع لم يفهم ابي شيئا من كلامي .

وصفوة القول بقيت ابكي واستغيث ولا مغيث واستجير ولا مجير . فذهبت جميع توسلاتي ادراج الرياح . فشدني ابي بمعاونة زوجه على دعامة من دعائم الدار وبدأ بالتحقيق معي ، فتارة يرخي العنان لي قليلا ، وطوراً يجذبه بشدة متناهية وذلك بسبب زوجه التي تستفزه ببعض الكلمات الحساسة . واخيرا لم يصدق حرفا واحدا من قصتي .

شرع بضربي بتلك العصا المشئومة حتى فقدت رشدي ، ولم أع بعد لأن جسمي قد تخدر وانسدلت على عيني غمامة سوداء حجبت عني

الرئيات ولم ادر ما حدث بعد ذلك ، ولما فتحت عيني بعد حين رأيت نفسي مشدود الساقين وبدني متورم من الضرب ، منطرحا على بلاطة من ارض "السرداب وكان الوقت فجراً ، وعند راسي شيء من الطعام فتململت وانا في مكاني وجدت يدي طليقتين ومغلل القدمين فقط . ولعلهما تركا يدي طليقتين لاستطيع تناول الطعام ولو ثوقهما من قفل باب البدروم « السرداب » ، ظنا ان القفل كاف لسجني ، وحينذاك لم افكر بالهرب ، فتركت نفسي للمقادير وبعد لحظة قلت لنفسي !

ـ ان الذي يتخلى عن مساعدة نفسه فان الله سيتخلى عن مساعدته وينبذه نبذ النواة . والآن دعني افك قدمي ، وبعدئذ لارى ما سيكون فحللت الحبل وقمت الى القفل فحركته وفحصته فحصا دقيقا كأني خبير بفتح الاقفال . فوجدته قفلا عاديا وليس فيه من المتانة شيء . قلت ان لبعض اللصوص الها يفتح الأبواب كأنما وهبهم مفاتيح الخزائن الثمينة وأودعها في جيوبهم كما اودع الله مفاتيح النار لدى مالك خازنها . فلم . اذن لم احاول انا فتح القفل واجرب نفسي على استطيع فتحه ؟! .

وهنا اخذت اعالج فتح القفل مدة فلم افلح . فتمهلت هنيهة وعدت الكرة ثانيا . وماهي الا لحظة حتى الفيته معلقا بين اصابعي ، فتنفست الصعداء وحملت طعامي بيدي وخرجت من الدار راكضا كأني صحيح الجسم ولم اعبأ بكل آلامي . هذا وسلطانة النهار لم تخرج على البشر بعد وقرصها لا يزال مختفيا وراء الافق عدا نوره الوهاج الاحمر قد صبغ الفضاء بلونه الارجواني ، فيممت وجهي الى حيث لا ادري .

بين الفينة والفينة اتلفت الى الوراء لابد ان احدا يتعقبني فلم أر أحدا وعند ذلك يطمئن قلبي ويهدأ روعي .!

ومن ذلك اليوم بقيت اقطع الفيافي والقفار ، هائما على وجهي حتي القيت عصا الترحال في الارض المقدسة — أرض فلسطين المحبوبة — وأخذت اتنقل بين الأعمال المختلفة والمهن المتفرقة الى ان حلت النكبة الكبرى .

والى هنا سكت وصار صدره يعلو ويهبط ويتنفس بصعوبة . ثم استأنف الحديث قائلا :-

- ليتني ظفرت بالشفاء الاعظم الا وهو الموت - فالموت شفاء من كل داء ، وبودي ان اضع حداً لهذا الشقاء .. ولكن .. هذا فوق طاقتي وليس بأمكاني . ومن ذلك اليوم اصبح شقائي في حكم الواقع واملي في حكم الضائع .

والى هنا سكت . فقلت له :

- هل رأيت المسيح ومعجزاته ؟ .

- نعم !! ..

- هل حلت عليك اللعنة حقا حين دفعته عند الباب ؟؟ .

- لقد فعلت ذلك في لحظة غرور .. وما قدرت العواقب ، اندفعت كالعاصفة وراء عاطفتي ولم اجد آنذاك ارضا ثابتة اضع عليها قدمي ، فجرفني التيار الى الهاوية التي كانت بانتظاري .

- اما كنت ترى المسيح بعينيك ومعجزاته الخارقة للعادة التي يعجز عنها البشر ، كأحياء الميت وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك

من الآيات ؟ .

ـ بلى !!

ـ أما كنت تعتقد فى باطن سرك ان هذا نبي مرسل من الله العزيز الحكيم ؟.

ـ اما ترى الانسان تارة يعمي عن قرص الشمس في رابعة النهار وطورا تراه يلق حجرا ، لناحية السماء لان يصيب به نجما سيارا وهو معصوب العينين ؟؟

ـ هل كان اعتقادك به نبيا أم لا ؟؟

ـ بل كنت اقول .. ولكن الجمهور واصحاب الغايات كان لهم التأثير الاكبر على عقلي حتى زلزلوه .

ـ اذن كنت بين الشك واليقين .

ـ لابد وان رأيت جمهورا عظيما يندفع فى سبيل معين مضحين بأنفسهم باذلين دماءهم فى هذا السبيل وهم لا يقدرون قدره من الفائدة والضرر ، فهل تعتقد بأنهم وزنوا الامر فرداً فردا وعرفوا حقه من باطله ؟ وصدقه من كذبه ؟ والى من تعود منفعته وعلى من يقع ضرره ؟ .

وهكذا انا عندما رأيت الجماهير ضده انقلبت عقيدتي الى الضد وثارت عاطفتي بالبغض والحقد فجاءت عاقبتها المهلكة ومزقت مافى الطبيعة من حذر واحتراس .

وهنا سكت محدثي برهة وامتقع لونه واخذ يرتعد ويرتجف ثم قال :ـ

— حسبك ياصاح ما حدثتك به الليلة ، فقد جاءت نوبة قلبي المعذب فاصرفني من فضلك لآخذ قسطاً من الراحة ويرتاح قلبي من العناء بعض الشيء . ولقلبي علي دين يجب ان ارفيه ، حيث كنت انا سبب الآمه ومصدر مصائبه —

فصرفته الى حيث محله وقمت من الدائرة ووجهت وجهي شطر الدار ونمت ليلتي هادئا .



[الليلة الثالثة]

«٣»

جلست في دائرة الامان كعادتي في المكان المعين وابتدأت بالعمل المعهود مدة من الوقت ، وذلك بعد منتصف الاخير من الليل وما ان اكملت العمل حتى حضر الرجل فالقى التحية المخصوصة ثم اخذ مجلسه المعتاد ، ولم يكن هذه الليلة ضيق الذهن كالليلتين الماضيتين . فكان يمتاز بحضور البديهة وقلقه اقل بكثير عما فات ، لكنه بقي صامتا مدة ولم يتكلم .

قطعت حبل السكون بكلمتي التي هي عين السؤال في الليلة الماضية .

وقلت :

ـ اصحيح انت قلت للمسيح : اذهب الى المشنقة ولا تتلكأ !! .. ودفعته دفعة قوية عثر عندها لدى الباب ؟ .

ـ هذا العذاب من بذرة تلك الحنظلة التي بقيت أتذوق مرارة طعمها مئات السنين بل الآلاف ، وهذه البذرة غرستها فلتات اللسان وسقاها غرور الشباب .

ـ اذن جنيت ثمارها وكان عقابك باستحقاق على ما جنته يداك .

وضحك ضحكة خفيفة .

- لا تهزأ بالتعساء !! . ان الهزأ بهم منكر من اشد المنكرات ، فذلك امر غبت عنه ولم تحضره ، ولو حضرته .

وهنا سكت قليلا ريثما يبتلع ريقه وكأن ابتلاع الريق «عكازة» يتوكأ عليها في الكلام . ثم اردف قائلا :-

- هذا من فعل الاقدار كما قلت سابقا ، ان الاقدار لا تسكن ، وما الانسان الا آلة بيدها ينفذ مشيئتها ويخضع لارادتها وينقاد بسببه اليها ، ولم يك بالامكان عنادها ، والاقدار لا تسئل عما فعلت وهذا الامر من المسئوليات الملقاة على عاتقها لا على عاتق غيرها . ومهما يسرق الأنسان في الحذر لا يتخلص من مقتضيات القدر .

ثم سكت هنيهة وعاد الى الحديث بالمناجاة فقال :

- ربى رحماك .. انى حى - ميت !! . غريق في خضم هذه الحياة اتشبث بعود من القش عله ينقذني مما انا فيه من عذاب . رباه اشعر بهذا الفضاء مظلما قاتما ، وعلى سعته وانفراج ما بين اطرافه اراه اضيق بعيني من جحر الفأر ... ولكن ... املي برحمتك وطيد . ومهما عظم ذنبي فعفوك اعظم .. ومهما كبرت خطيئتي فرحمتك اوسع .. اليس الانبياء قبلي قد اخطأوا فعفوت عنهم ؟! . اذنب أبونا آدم فتبت عليه وغلط يونس فصفحت عنه . وزل ايوب فعفوت عنه . واجرم اخوة يوسف فغفرت لهم .. وأخطأ داود فسامحته .. نعم !! .. ان املي وطيد ستغفر ذنبي وان رحمتك اوسع منه وستعفو عن زلاتي وتصفح عن ذنبي .

وهنا سكت وأخذت اعصابه ترتج ، واطرافه ترتعد ، ومن ثم هدأت حركته وصار كالميت من امس . فتركته فترة من الوقت ليسترد قوته وتشاغلت ببعض الكلمات التي من الواجب ترديدها بين حين وآخر حتى افاق من غشيته . ابتسمت في وجهه وقلت له مازحا :—

ـ خيل لي انك انتقلت الى العالم الثاني ، وها اني اراك تتمتع بكامل صحتك . فقال :

— لا تخف !. اني بمعزل من الموت .. وأن الموت لا يأتي الا على الابرار المتقين .

— انك غريب الاطوار . وما اشبهك بالرياح التى هى قابلة للتغيير في كل وقت وحين وكأنك تتعمد هذه الاطوار للتخلص من اسئلتي . ويتلذذ الانسان احيانا ان يخدع صاحبه بلا سبب .

فنظرني نظرة خاصة . ومال برأسه الى جانب كتفه ، ومطشفته السفلى كأنه لا يريد الحوار معي . وقال :

ـ كما تشاء !! .

ـ اذن أتمم حديثك الذي جئت من اجله !! .

— كأن القضية طريفة لديك ، ويلذ لك ان تبدي فيها وتعيد .

ـ ومن اجل هذا احضرتك .

فقلب الطرف فيما حوله ليرى هل هناك احدا حاضرا غيري يسمع حديثه ، ولما لم ير أحدا سوى واحداً من الموكلين واقفا بعيدا عنه ،

كأنه لايرى ولا يسمع ما يدور بيننا من حديث ، وكأنه يفكر في أشياء تخصه وحده . انتفض نفضة خفيفة حينما رأى هذا المارد الجبار واقفا بجانبه على قيد خطوتين منه مائلا الى الوراء عنه نوعما .

فقال :—

— انني تعيس ! . وان المحن التي تقلبت علي تدك الجبال وتجعلها مهاداً وما الذي تجنيه من هذا الحديث ؟ لقد اصبح البحث فيه عقيما ومن يتكلم به او يشير اليه يكون سخرية الناس وموضع هزئهم .

— لايهمك هذا .. انا الذي اكون سخرية الناس لا انت .

فاجاب وكانه يخاطب نفسه :—

ـ من الذي يقاوم المقادير ؟ . وهل يمكن مقاومتها ؟ . والا فقد كان يحسن ان يطوى الماضي طيا ليس له من نشر . وان العبرة بما سيكون لا بما كان .

ـ ارجو ان تسامحني على سؤال يعز عليك ان تجيب عليه جوابا صريحا .

ـ قل ماعندك !! .

ـ هل كان قومك ـ وانت بضمنهم .. جاهلين رسالة عيسى ونبوءته أم كانوا يعرفون الحقيقة ويغالطون فيها ؟ :

ـ بل وجدنا الحق في جانبه .. ولكن كبر علينا ان نعترف بهذه الحقيقة .

ـ وهل بقيت على اعتقادك القديم أم غيرته ! ؟

— غيرت بعض عاداتي جرياً مع التغييرات التي انتابت اهل هذه الدنيا .

ـ أآمنت بنبوءة المسيح ؟. وتركت دين قومك اليهود ؟ ام بعدك على دينك الموسوي ؟.

فنظرني نظرة عتاب وقال :

— ان رؤية الحق شيء واعتناقه شيء آخر .

— يظهر لحد الآن انك لم تؤمن بالمسيح وآياته .

— ان الدين شيء والقومية شيء آخر .

— انت لهذه اللحظة متعصب لقومك ولدينك ولم تؤمن بعيسى ايماناً تاماً . فكيف ترجو عفو الله وصفحه عنك ؟ . فأنت معلق آمالك بخيوط وهمية اوهن من خيط العنكبوت . وكأنك تطلب المحال من الله . واذا بقيت على منهجك هذا فدون غرضك خرط القتاد .

ـ انت لا تعرف عني شيئاً ، ولم ترني الا قبل ليلتين او ثلاث فمن اين لك ان تصدر علي هذا الحكم القاسي وتسد عني طريق الرحمة وتوصد في وجهي ابواب العفو ، كأنك انت الديان وبيدك الميزان .

أجل !!.. كما قلت لك سابقاً انني شقي اطلب الموت والموت يفزع مني اذا صادفني في الطريق . ولكن رحمة الله واسعة ولم ايأس من روحه . والآن اما حان الوقت للانصراف لانفض عني غبار هذا العناء ؟!.

- قلت له : انصرف !! .

وأشرت الى الموكل بأخذه . وما ان تمت الاشارة حتى مسك الموكل بيده وغاب الاثنان عن عيني في لحظة واحدة .

فقمت من مكاني وانيت الدار . وما دخلتها حتى سمعت اذآن الصبح .

(الليلة الرابعة)

« ٤ »

دخلت الدائرة واحضرت الرجل ، وكان هذه الليلة ثابت الجأش قليلا بخلاف الليالي السابقة جلس في محله المعتاد فقلت له :

ـ ايه يايوسف تكلم !! .. اراك هذه الليلة مسرورا . تكلم اذن بكل حريتك ولا تخف . واذا شئت ان تعود الى محلك هذه الليلة فارجع من حيث اتيت لتأخذ راحتك واذا كانت لك حاجة واستطيع قضاءها قضيتها لك .

وكنت بهذا الكلام اريد اطمئنانه ليتكلم بالحقائق . فنظر نى متعجبا وقال :

ـ عفوا !! .. وممنون !! .. فالمتسول لايستطيع ان يشترط على المتصدق لان الاول مسير والثاني مخير .

ـ لعلي بالغت في القول فوقعت عبارتى عجيبة على سمعك . ولكن صدقني اني جاد في قولي وشرحت لك عاطفتي الحقة .

فضحك ضحكة خفيفة وقال :

ـ انا استفززتك اكثر من مرتين متعمدا . ولكن رأيتك تستطيع السيطرة على نفسك ، ومن السهل عليك ان تسيطر على اعقد مواقف الحياة وأكثرها تحرجا اذا كانت خطتك هذه .

ـ هذا عين الرضا .

ـ كلا !! .. بل عين الحقيقة ، وليست الرجولة التي يصفونها فى ملاقاة الاهوال وحسب ، بل فى احتمالها والتجلد لها والثبات لصدماتها بوجه بشوش . وانى اقول ان طبعك كرداء دقيق الصنع منسوج من خيوط التساهل والحسنى .

فضحكت في وجهه وقلت :.

ـ اني اعفيك عن مهمة ادخال السرور والفرح الى قلبي بكلماتك المنمقة ، وأريد منك الآن اتمام الحديث . حيث قد ذهب شطر من الليل ونحن فى احاديث لاتغني ولا تسمن من جوع .

ـ لا تتعجل ان العجين لم يختمر بعد ، وقد يختمر العجين الكبير من خميرة صغيرة .

فقلت له مازحا :.

ـ يظهر ان قلبك كالبصلة مؤلفا من طبقات ، فينبغي ان انزع عنه طبقاته طبقة طبقة حتى اصل الى كيانه الطبيعي واعرف من أي شيء خلق .

ـ وما ذا يبدو لك من سيمائي مما يدلك على ان قلبي مؤلف من طبقات شتى ؟ .

ـ كلامك الذي تتنقل به من مكان الى مكان وموضوع الى موضوع بلباقة زائدة ومهارة فائقة حتى تلهيني عما حضرنا من اجله

ـ في هذه الليلة ارى نفسي بين قوتين متضادتين . اشعر بجو وجودي مكفهرا من جهة وصافيا من جهة اخرى ، وأحس حينا بفؤادي يخفق هلعا وحينا بانتعاش روحى ، ثم يعتورني الخوف والاطمئنان

متعاقبين .

- ارأيت كيف تتخلص من الحديث المقصود بلباقة وشطارة فائقتين وكلما اريد ان احصرك في دائرتك لئلا تخرج منها نحيط كل مجهوداتي وتبعد حلقات سلسلة دائرتك واحدة عن الاخرى وتخرج منها متبخترا .

— لاتظن اني اتعمد ذلك . انا التائه كما يسمونني . تائه حتى في الحديث . وحينما اشرع بحديثي تتنازعني عوامل لا أعرف مصدرها ولا استطيع حصرها ، لذا تراني انخبط في الموضوع كالاعمى في الطريق . فلا تسيء بي الظن . ولا سيما العبء الذي القي على كاهلي كان إفدح ان انهض به . فلا مناص لي من التململ تحته .

- اقرأ في وجهك اشياء ، واشياء تدور في خلدك ، وانت تقالب نفسك بين التصريح والكتمان .

- صدقت !! :

- هل تنتهك سرا مصونا اذا قصصت علي قصتك الحقيقية وحدثتني بما يدور في خلدك الآن ؟؟.

- كلا !! .. ونعم !! .

- فاذا يصعب عليك هذا اعتبر كلامي كأن لم يكن .

قلت له : ذلك وانا على يقين ان سيحدثني بكل شيء . لأنني رأيت صدره ضيقا لايسع مايريد كتمانه .

في رأسي نزاع كثير ولا أدري عن أي شيء احدثك ، واخشى ان يجرنا الحديث الى ما اريد اجتنابه كي لا اتورط فيه فأسبب لك

ازعاجا .

قال الرجل ذلك وهو يتململ في مكانه . فأجبته :.

- يظهر ان حياتك سلسلة غلطات ، ومهما تريد اصلاح خطأ تقع بأفضع منه . والموت الاحمر في الغلطة الاولى . اليس كذلك ؟!.

- أجل !! . الغلطة هي الغلطة الاولى فقط . ولم اقع بغيرها .. ولكن اريد ان اصل الى نقطة المركز فلا استطيع . وهذا هو منشأ عذابي وتبلبل أفكاري . والأمر الذي يحيرني هو هل حان الوقت أم بعد .

- لم افهم كلامك ولا عرفت قصدك .

- الافكار التي تمر في مخيلة الشخص هي كالنور اذا لم يلتق بجدار او ينبسط على جرم يبق الجو مظلما قاتما - ثم هي كالحرير ناعمة رقيقة اذا لم يعرضها ماهر خبير تمزقت بين اصابعه ، وانا لست بذلك الشخص لذا ترى افكاري تعرض وتتمزق بسرعة .

- كلامك هذا مطاطي وغير محدود يصل بنا الى ماوراء اللانهائيات ولا يفهم منه شيء .

- لا اتفق معك في هذا مع تقديري العظيم لنباهتك . احقا خفي عليك ما شرحته ؟!.

- دع عنك هذه الكلمات المزخرفة !! . وتحدث بصراحة تامة ...

- تقول حدثني بقصتك ، وهذا تمهيد لها .

- يقولون ان اليهود عالمون بجمع الثروة فقط ، وفيما عدا ذلك اغبياء ، وقوتهم الوحيدة جمع المال وهي التي وهبته اياهم الطبيعة وانهم ضعيفون

فيما خلا ذلك . ولكن الآن ثبت عندي انهم واهمون ، لأنك واحد منهم ، وأراك داهية من الدهاة ، جعلت تلعب بي كما يلعب لاعب الكرة الماهر بكرته ، وتذهب بي يمنة ويسرة في احاديثك الملتوية باسلوب دقيق حتى تسابقت الساعات ولم يبق من الليل الا دقائق معدودة ، وانا لم استفد منك شيئا . وقد ازعجتني حقا بلفك ودورانك والغازك وأحاجيك :

وهنا ابتسم الرجل وقال :

ـــ اذا كنت تعد كلامي هذا ذنبا فاقسم لك انه على غير قصد مني . وعلى هذا فلا يعد ذنبا ، وان عد ذنبا فلا اظنه يستحق عقابا ، حيث رأيتك قداشمأززت كثيراً مني فارجو العفو .

ـ ياهذا ... والله لقد ازعجتني بألغازك واحاجيك .

ـــ حدثتك بما هو مغروس في ذهني ، وكشفت لك عن طبيعة نفسي . واظنك قد عرفتني بأني قد قاسيت كثيراً من المصائب والقضايا المزعجة وبقيت عشرين قرنا انقلب في هذه الحياة المرة وانا بين حي وميت . وفي طيلة هذا العمر تدربت على حياة ذات وجهين ومقاييس من نوعين مختلفين (اعني حياة وموت) فلا تؤاخذني ..

والى هنا سكت . ولما نظرت الى ساعتي وجدت الوقت قد ازف ولم يبق من الأذان الا خمسة دقائق . فصرفته

على ان اخفره في الليلة القادمة ، ولم اترك له فرصة الى الآن والتديران في حديثه .

وذهبت الى داري لأنام الساعات الباقية حتى يحين موعد عملي .

(الليلة الخامسة)

«٥»

دخلت الدائرة واحضرت الرجل . ولما حضر رأيته مرتبكا كأنه اصيب بصدمة في اثناء الطريق فأردت التخفيف عنه ، ابتسمت في وجهه وقلت له : —

أرجو ان لا اكون ثقيلا عليك في زحماتي هذه . كما وارجو ان لا اصابك تعب او نصب في طريقك الي في هذه الليلة . فاذا كان قد مسك سوء او اذى فأخبرني.

— كلا !! والحمد لله .

وباغتة بسؤال خفيف :-

— هل استأنست يوما ما بعد ما حلت بك المصيبة الكبرى . فقال :

- ربما استأنست حينا وغصصت بريق احيانا .

- بم تستأنس ؟ . وأي شيء يكون مصدر انسك ؟ .

فأحنى رأسه الى الارض وجعل ينظر فيها مليا ويعبث بأصبعه في التراب كمن يكتب حروفا فيه . وكمن فقد شيئا صغيرا واخذ يفتش عنه في طيات الثرى - ثم رفع رأسه وقال :

- ليتك ما سألتني سؤالا اقل احراجا من هذا .

- هون عليك .. فما انت واقف في قفص الاتهام وتخاف ان تدلي

بحكاياتك . ولا انا قاض او حاكم وتخشى الاعتراف بجريرتك كى لا ينالك منها حبل المشنقة ، بل انت حر فيما تقول ، ولك كل الحرية فى جوابك هذا اوغيره . وما انا الا رجل بربدان يعرف طرفا من قصتك التي هي اعجوبة العجائب في عصرنا هذا ، ليس الا .

ـ نعم أأنس في سويعات قليلة حينما اتذكر فيها بعض . وسكت برهة واردف ـ ستحسبني ـ رجلا احمقا او شخصا ارعنا . ولست بأحدهما . . أجل !!.. افرح عندما اتذكر نور المستقبل الموعود ، وأطرب حينما يخطر ببالي تحقق المنام وصدق الرؤيا . وسكت

ـ اوضح الكلام . ولا تلف وتدور كالليلة الماضية .

ـ ان وراء هذا سرا لا تكتشفه الا الظروف فهي كاشفة الاسرار والكفيلة بنشر ما طواه الليل والنهار .

ـ اي نور تدعي وأى منام تقصد ؟؟. اوضح الكلام فى الحديث !؟. ودعنا من التنسيق والتنميق . واكشف عما يخالج ضميرك من تمنيات تفرح لها كما تدعي .

ـ كشف هذا الامر واتمامه غير مقيد بزمان ومكان .. وانما هو مرهون بحادث قد يحدث فى ايامنا هذه ، او هو على سبيل الحدوث .

ـ ما هو هذا الذي تعتقد به انت ؟ . هل هو من بنات افكارك وما اوحاه لك شعورك ؟ ام قرأته بكتاب ؟ . أم سمعته من كبار العلماء الذين عاصرتهم في هذا العمر الطويل ؟؟ .

فابتسم ابتسامة مصطنعة . وقال :

ـ أليست الاخبار التى عندكم ايها المسلمون .

طبعا بعدما سألني عن الدين الذي اعتنقه وعرف انني مسلم ..
فقال :
— ان عيسى سينزل من السماء الرابعة . فأجبته :
— بلى !! .
— اليس عندكم بالاخبار ، وبالاخص فرقة الشيعة ان المهدى ﴿ع﴾ سيظهر ويملأ الارض قسطا وعدلا ؟
— بلى !!:
— كذلك الاخبار عندنا ان الاسباط سيظهرون ويحكمون الارض وتكون لنا دولة ونحكم انفسنا بأنفسنا ، ونتخلص من القيود والاغلال والعبودية التى رزحنا تحتها دهورا .
— وماذا ينفعك هذا ان كانت اللعنة باقية عليك وانت معذب في الحياة ، وكما قلته ان تحقق فلن يجديك نفعا انت شخصيا .
— ان عيسى والمهدي والاسباط سيظهرون في وقت واحد ، واعني بالوقت الواحد هو التعاقب بالسرعة كحبات المسبحة ، اذا انحدرت منها حبة اعقبتها الاخرى بسرعة فائقة ، واذا ماتم هذا الامر أتوب على يدهم جميعا وهم يطلبون لي من الله الغفران ، وبذلك اصبح مطمئنا آمنا من كل ناحية . فهذا فرحي وسروري الذي انبأتك به من قبل ويصبح الماضي في خبر كان والمستقبل في خبر ما سيكون .
قلت له معاكسا :
— لو فرضنا ان هذا الامر لم يتم ، وما هذه الاخبار الا حبر على ورق وكلمات تلفظها الافواه فتصعد في الفضاء ثم تلاشى وتضمحل فما يكون

مصيرك . وبماذا يكون سرورك ؟؟

فنظرني معاتبا وقال :

ـ ان الايمان بالله هو تعزية لكل عزاء واذا لم يكن فيه غير هذه التعزية لكفى به متسعا لآمال المؤمن والكافر والطائع والمذنب في ساعة الضيق مخرجا .

وعلى هذا نرى كل فرد من العباد على اختلاف اديانهم من مسلم الى نصراني الى يهودي الى بوذي وحتى الدهري والطبيعي مهما عاند وكابر وجادل وغالط في وحدة الوجود ونكر الباري عز وجل في ساعة الامان نراه في الساعة الحرجة : وفي الاوقات الرهيبة التي تفاجؤه يلتجيء الى قوة خفية لا يعرف كنهها ولا يدري ماهيتها ، وكأنما هذه القوة الخفية هو شخص بجانبه يسند اليه في الملمات . ولما تتوجه فكرته نحو هذه القوة تراه يكسب الاطمئنان حتى لكأنه يرى ويشعر بأن شخصا ما أخذ بيده في تلك اللحظة وانتشله من المحنة التي هو فيها ، فذلك الله عزوجل وعليه عقدت آمالي ، وهذه هي تعزيتي التي اتعزى بها .

فضحكت وقلت له :

ـ كأني طلبتك واعظ فخرقت علي الليل بالعظة فقط . وانما طلبتك لأعرف قصتك ، وانت الى الآن لم تشف غليلي بشيء سوى هذه الثرثرة وانا اعرف الله خير منك ومؤمن به منذ الطفولة ولم اشرك به يوما ما . ولكنني عند الضيق الشديد والعسر الذي لا يحتمل اعتب عليه كثيرا واناجيه كثيرا ، حتى لكأني اخاطب رجلا مثلي جالسا بجانبي ، وهذا هو ما راسخ في عقيدتي بان كل ما يصيبني في الدنيا فهو منه ولا استطيع الحركه

من موضع الى موضع الا بأمره ، واظن هذا يكفي للاقرار بوجوده وخير من الالحد والعياذ بالله .

— انا اقل البشر علما وادناهم معرفة ، ولا مزية لي الا هذا العمر الطويل والتجارب التي رأيتها فيه . وان ما احتملته من المصائب لم يكن ليستطيع حيوان ان يحتملها حتى خرفتني . ولا احب الحياة ولا احرص عليها ، لو لم تكن قضية معلقة في عنقي اود تأديتها ليئست من كل شيء .

— اية قضية معلقة في عنقك ؟ . ولماذا لا تؤديها وتستريح

ـ الفكر لم يكن حولها محدودا بل يعود تقدير ذلك للظروف والمناسبات .

ـ عدنا الى السيرة الأولى من حيث لا نشعر .. اليس كذلك ؟

فتحرك حركة آلية تنقلت بها جميع اطرافه رغما عنه وعلى غير وعي منه وقال :

— اليس هذا الحديث الذي اتحدث به هو طرف من قصتي ونبذة من تاريخ حياتي ، فيظهر انت دائما تتعجل في الامور ، واظن ان العجلة من البواعث القوية في الخطأ .

ثم استدرك الحديث . وقال :

ـ عفوا !! .. هل ساءك كلامي ؟؟ .

— انك محدث جريء وقادر على ان تدير دفة الحديث بلباقة وان تستنجد بمنطق التمويه اذا خانك الواقع المفيد . واذا قلت قولا تتوقع ان يكون له وقع الوحي على قلوب الانبياء .

فستر وجهه باحدى يديه وقال :

ـ اعذرني .. انى منكود حظ ، وقد تراكمت على نوائب الدهر بضجيجها الصاخب فضعضعت افكاري وآلمت قلبي ودفعتني عواصف المصائب الى هوة فغصت في طيات ظلماتها ولم اعد اعرف ماذا اقول ورجائي منك ان ترجىء الحديث الى الليلة الآتية فيما اذا امكن ذلك .

عندئذ اشرت الى الموكل بصرفه فانصرف .



« الليلة السادسة »

« ٦ »

حضر الرجل وبعد التحية اردت ان امازحه قبل ان افاجئه باسئلتي الرهيبة بالنسبة اليه كما اشعر به . فقلت :

- هل رأيت الشيطان في هذه الاعوام التي عشتها ؟

فضحك وقال :

- من اين لي ان يترك حضرته كرسي مجده في القصور الجحيمية ويخرج الى الارض لزيارة رجل مثلي :

- هل بقي احد من زملائك القدماء الذين عاصروك في ابتداء صبيتك او من الذين عاصروك في الوسط والاخير من حياتك ؟

- كلا !! .. لم يبق منهم من شبح . بل اصبحوا من سكان القبور .

- ما عسى ان تكون مواطنك في هذه الليلة .

— هي هي دائما وكما تكون دائما حفنة الحنطة بين حجري الرحى .

ثم اخذ يتأملني مليا ويستقصني من رأسي الى اخمص قدمي ، وبين شفتيه كلام يريد ان ينطق به ثم يبتلعه ولا يستطيع اخراجه ويهم ان يقول شيئا ويمسك نفسه . واخيرا نطق وكانت شفتاه ترتجفان :

— ان لي معك حديثا خطرا هذه الليلة ، ولا اعلم كيف افتتحه ،حيث

لا ادري ماذا يكون وقعه في نفسك .. ولكن اذا وثقت بحسن نيتي سهلت لي محادثتك وشجعتني على الاستمرار في الحديث معك؟ .

قلت لنفسي : اي نبأ غريب راح يسكبه هذا الرجل في مسمعي ؟ .

ـ انك رجل طيب وانست منك تسامحا شجعني على الحديث معك والذي اريد ان القيه عليك الآن .

قال ذلك وسكت ، وبقي ينظر الي بعينين زائغتين . بادرته قائلا :

— انك انت كذلك رجل طيب لولم تكن هذه المحنة عليك . وضحكت فقال :

ـ انك اول من قال لي هذه الكلمة . واني اعتقد بنفسي كذلك .

ثم تململ وجلس جلسة غير إعتيادية ، فكأنه استعد لحديث طويل . وازاح عن نفسه الستار الذي نسجته عليه متاعب الحياة . وبدا وجهه يتهلل فرحا وقال :

ـ اليك الحكاية ابسطها بصدق نية من غير تحريف وتمويه .. ولكن خلال حكايتي ينبغي ان اسألك بعض الاسئلة . فهل تجيبني عليها بدون ازعاج ?? .

ـ لا أدري الآن ولا استطيع ان اعطيك كلاما . ان الجواب يتوقف على نوع الاسئلة وتأثيرها .

ـ اقصد ان لا تكلف نفسك الازعاج مهما يكن وقع السؤال ثقيلا على مسمعك .

ـ انني صريح في كل شيء . ومهما يحدث من أمر فان أسألتك لا تتعدى حدود الكلام اللائق بمحيطنا هذا . وكل الاقوال لا يصح اتخاذها اساسا للافعال التي توجب الانزعاج . اليس كذلك ؟؟

ـ اشكرك . وارجو ان يكون كذلك . ولطالما تعمد دائما على الصراحة في حديثك . فسأكون مثلك ناهجا هذا السبيل مهما حدث من امر .

وتحرك هنا حركة ثانية واستعد لحديثه باهتمام زائد . ولكنني توسمت في لهجة تساؤله منتهى القلق والاضطراب ، حيث قال :

ـ كيف ترى قضية فلسطين والدولة الأسرائيلية .. فهل يتم تأسيسها ويصبح لليهود وطن ودولة تحكم نفسها بنفسها ؟؟ .

ومن الطبيعي كان لزاما علي ان اجيبه على كل سؤال ، واصغي الي كل ما يسأل . فقلت :

ـ ان جوابك هذا في ضمير القدر . واظن هذه الدولة المزعومة نصيبها من الخيال اكثر من الحقيقة . وما هذه الا حفرة مقهورة في موقف مجهول ومصارعة عاتية لم تلبث ان تتحول الى ارتداد مقرون بالفشل والخذلان .

ـ ان البذرة قد غرست ولا بد ان تخرج يوما ما ، وسيما ان غارسيها متعهدون بسقيها دائما وتربتها صالحة للزراعة ، وفي جذورها قوة هائلة تدير الاجرام في محورها وتمج بها لجج المحيطات وترتج لها رتائج الجو .

ـ ربما كان قولك صحيحا .. ولكن الذين يزرعون هذه البذرة هم دائما يعملون في سبيل مصلحتهم . واذا تم لهم ماارادوا فلا يهمهم

اخرجت البذرة ام لم تخرج .

- بل من مصلحتهم اخراجها .

- اذا ما ارتأوا ان مصلحتهم ستكون راجحة في كفة الميزان المقابلة داسوا البذرة المزعومة بأقدامهم وهشموا اغصانها وفتتوا اوراقها وذروها في الهواء . زد على ذلك انهم مختلفون في الآراء متعاكسون في المبادىء ودائما كل طرف منهم يتحين الفرص للطرف الآخر ليلقي به الى الهاوية وقد تقتضي المصلحة ان يدفعوا بقومك الى الهاوية ايضا ، ويملئوها من جثثهم ليبنوا بها جسرا يعبرون عليه .

— لا خيرة في الواقع . ان شرا واحدا اهون من شرين . وان لم تجب الى هذا طائعين لتجيب الى ماهو اعظم كارهين .

ارى قومك الآن يلعبون بالنار والبارود . وانهم على قاب قوسين او ادنى من الهاوية التي تنتظرهم .

- هل تظن ان قومي سخيفون الى هذا الحد ، ولم يدركوا الحقيقة ، ولم يقدروا النفع والضرر ، ولم يزنوا الامور بموازينها .

— ان الميزان الآن ليست بأيديهم ، وصاحب الميزان باستطاعته ان يرجح ايه كفة شاء ومتى شاء .

— على كل حال انهم في حاجة الى من يضع يده في ايديهم مهما كان جنسه وطبعه . واذا القوا الوقود في النار نفخ فيها واشعلها حتى تنضج الطبخة .

- ولربما تحرقهم هذه النار وتكوى جلودهم .

- مهما يكن من امر . فلا يمكن ان يقطعوا جناحهم بأيديهم ويرتمون

على التراب واضعين ايديهم على افئدتهم ، ساكبين دموعهم ، قائلين هذا نصيبنا وقابلين بما كتب الله لنا . وبعد أن واتتهم الفرصة وسايرتهم الريح التي عاكستهم دهورا من قبل . والذي يقنع بما في يديه فقد بدأ عقله يتحجر شيئا فشيئا .

ـ ليست الامور التي يجهلها الانسان هي التي ترمي به في المآزق الحرجة كلا !! بل الامور التي لا يخامره شك ولا شبهة في صحتها ، ولكنها غير صحيحة .

ـــ ربما كنت في قولك مصيبا . ولكنهم وزنوا الامور وغربلوها وغربلوا ازوانها من حبوبها واعدوا العدة لكل شيء .

ـ وانت .. ربما كنت مصيبا في قولك .. ولكن قومك اتكلوا على غيرهم في هذا الامر . ومن لا يعتمد على نفسه ، ويتكل على غيره في اعماله ، ويؤمن بالمصادفات ، ويكل خططه للمقادير ، والنتائج للضروف الطارئة ، ولا يدعم اعماله على قواعد ثابتة غير مشكوك في صحتها انقلبت سعادته الى جحيم وهنائه الى اغلال لا تطاق يرسف فيها مادام في الحياة .

ـ قلت لك : لا يسعهم غير هذا بعد ان ذاقوا مرارة الحياة ردحا من الدهر ، وتقلبوا في الشقاء زمنا طويلا .

ـــ كانوا في غنى عن كل هذه المتاعب . لأنهم في فلسطين وفي كل مكان من الأراضي العربية في بحبوحة من العيش ولهم ما للعرب وعليهم ما عليهم ، وبعد هذا من يعلم ماذا يظهر لهم الزمان من صروف الحدثان .

قال وبصوته لحن التأكيد

- ان القوة لديهم عظيمة . لديهم المال والرجال والذخائر والاعتداد بالنفس ، ومن وراء هذه القوة الدول العظمى تؤيد دعوتهم فالنجاح مضمون لذلك . والاخبار جميعها تنبىء من هذه الدولة ولا تشك في صحتها وسيتم تأليفها سواء ارضي الناس ام لم يرضوا . واعني بأمر من الله سبحانه - .

— اذا كانوا يعتقدون ان هذه الدولة يتم تأليفها بأمر من الله فلم كل هذه الاستعدادات وهذه الحروب وازهاق الارواح البريئة والقتل والتدمير والنهب والسلب ؟ . فدعوا الامور تجرى على مجراها الطبيعي وتسير سيرها الاعتيادي ريثما يأتي اليوم الموعود وتؤلف هذه الدولة بسهولة وبدون شق النفس . والكل حينئذ يعترفون بها ويشدون ازرها وبدل من ان يتقاتلوا يتصافحوا .

- ورغما من انه كان يهز رأسه مؤمنا بأقوالي ولم يعترض عليها بحرف واحد ، فقد بدت على اساريره علامات الهزأ والشك واضحة جلية . عندئذ قال :

- انت تريد ان يبنوا بيوتهم على الرمل ، وبعد ان يزاح الرمل يسقط البيت . كلامك هذا كمن يقذف كرة في الفضاء ويقول لها : تعلقي فيه ولا تعودي . وقصدك ان يتصافا العرب واليهود ، ويكون الطرفان على وئام بالكلمات الفارغة والجمل الجوفاء .

— اما ترى الآن ان اليهود في العراق يشغلون اكثر وظائف الدولة فمنهم نواب ومنهم وزراء ومنهم مدراء عامة وغير ذلك من الوظائف

التى لا بأس بها . وكذلك تكون الحال فى فلسطين ، فيما اذا مدوا يدهم للمسالمة .

ــ انى اجلك عن الكذب .. ولكن الذي يمشي بخطبة امرأة يكون واجبه الاول احتراف الكذب ، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم .

قلت له مازحا .

ــ اذن من يكون العريس ومن تكون العروس ؟؟

ــ اتمنى ان يكون الطرفان عريس وعروس ، حتى لو كانت العروس هي قومي . لانه اضمن لسلامة الطرفين . وذلك خير من ان يكون كل طرف سوسا ينخر فى عظام الطرف الآخر ، وسيما هم ابناء عم وكلهم ساميون . فالعرب خير لنا من الغير . ونحن كذلك خير لهم .

ــ ربما يكون ذلك . ولكن بين الدينين بحرا من الاختلاف والتباين .

ــ كل له دينه . فالدين ليس بخاتم ثمين فى اصبع الشخص ويخشى عليه من السرقة والسلب .

ــ قومك مزعجون ثقلاء مفتونون بدولتهم المزعومة ، سكارى بما يتوهمون من مكانة خلعوها على انفسهم خلعا . وهم مرضى بهذه الجنون جنون العظمة الفارغة . ولو اراد الله خيرهم لانار بصائرهم ، وهداهم الطريق السوي ، وعملوا عملا بتودة وحكمة وما ركبوا رؤسهم .

ــ دعنى اقول كلمتى بحرية ولك الخيار فى الحكم .

ـ قل ما تشاء !!.

— من البشر يقول ان غيري احق بالخير مني في هذه الدنيا ومن الذي يقول ان فلانا افضل مني ، بل هو يعتقد ويجزم كل الجزم انه احق بالخير من العالم قاطبة ، وهو افضل الافاضل كافة . وكأنما خلقت الدنيا من أجله وحده .

— ربما الانسان اعتقد ذلك .. ولكن بأي حق يهاجيم شخصا آمنا في داره ويريد اخراجه منها بالقوة والقسر ؟؟

— انا بشر ـ ونعتقد ان هذه الارض هي ارضنا من بدئها ولنا الحق فيها لأنها ارض اجدادنا من قبل . ومن حقنا ان نناضل ونجاهد ونطالب بارض تكون لنا فيها دولة ، لانها لنا وحصة أجدادنا الاسباط . الحال الحاضر ابتاعوها باثمان فائقة تفوق اثمانها الاعتياديه . وهذا زعمنا بشأن قضيتنا . اما انتم فلكم ان تزعموا بشأن قضيتكم ما تشاؤن ولكن لا يتقيد بهذا الزعم سواكم .

وهنا قال : ان الوقت قد حان فهل تصرفني ؟؟ فصرفته وقمت من مكاني موجها وجهي شطر الدار .



(الليلة السابعة)

«٧»

الرجل وبدأ الحديث بقوله :

حضر ربما كان في اقوالي مايخالف اعتقاداتكم ،.. ولكن الذي اعلمه هو ما حدثتك به ، ولكل من الطرفين الحق فى وجهة نظره .. والحكم الاعلى في مثل هذه الاختلافات يكون للقوة .

ولا اكذبك ايها القارىء حينما وصل الى هذا . قد شعرت بسحابة من الغضب تعلو افق نفسي .. ولكننى تصنعت الهدوء كى لا يحس بأنني قد غضبت من كلامه .. غير انه حزر بما يجيش به نفسى من سورة الغضب ، حيث قال :

ـ مهلا !! .. لا تنجرف بالعاطفة وتندفع مع الغضب ، فأنا بحاجة الى هدوئك وسكينتك ، وكذلك انت في حاجة الى هدوء افكارك وضبط نفسك فيما اذا كنت تريد استرسال الحديث .

ـــ اراك قد لففت نفسك بثوب من الرضا عن النفس لا ينفذ منه شيء .

ـ عفوا .. اذا ساءك كلامي فأنني انسحب .

ـــ كثير من الناس مثل ابناء قومك قد خصتهم العناية بذكاء وقاد

وصفاء ذهن زائد . ولكنهم يصرفون هذه الميزة في سبيل الشر ويوجهونها الى الاضرار بالناس طوع مطامعهم . ولا غرابة في ذلك . من كان مثلهم ميتي الضمير سيئي الخلق لاذمام لهم ، ولا عقل يردعهم يفعلون ما يفعلون .

- كل بني الانسان هذا ديدنهم وقت الحروب .

— سيعرفون الحقيقة عندما تحجب الغيوم السوداء شمس تمنياتهم معلنة بانقضاض الصاعقة ، فترعد السماء فوق رؤوسهم وتحتدم الطبيعة امامهم ، وتخترق العواصف ثياب عزتهم ، وتهيج امواج بحر وجودهم دافعة بسفينة سعادتهم نحو الساحل الصخري محطمة اياها . فوقتئذ يعرفون ليس لخضم هذه التمنيات من مرفأ سلام .

ولو تمتعوا بقسط قليل من التؤدة مما يلين اليهم جانب العرب لكان خيراً لهم .

— انكم ترشدوننا الى حياة نفوسنا ، وتظنون علينا بقطرة ماء تروي ظمأ قلوبنا .

— وانتم تريدون سلب املاكنا واراضينا ونسكت ؟

- نحن ابناء عمكم ، اتخذنا زاوية من الارض لنعيش فيها بجواركم وبين ظهرانيكم ولنأمن شر الاجانب الذي ساموننا الذل والهوان ، ونتجنب مكائد الغرب وشروره ، ففاضكم هذا العمل . باضافة الى ان هذه الزاوية قد ابتعناها من اصحابها الحاليين بثمن باهض يعادل ثمنها الاصلي اضعافا مضاعفة . فابيتم ذلك . وانتم مصرون على طردنا من هذه البقعة بالقوة .

وهنا رأيت من المستحسن ان انهج معه منهجا لينا . حيث من مقتضيات الحكمة ان يكون المحدث لينا متلطفا في حديثه متجها الى هدفه من السبيل الذي يظمن البلوغ اليه . فقلت :

- لو كان قومك على جانب قليل من الادراك لصبروا وتمهلوا حتى يستقر في قلوب العرب انهم اناس مسالمون ، ولا لهم أي مآرب ، ولا ينالهم سوء بهذا الجوار ، لعاشوا عيشة راضية مرضية في هذه الزاوية كما تقول ، ولبلغوا مرادهم شيئا فشيئا من حيث لا يشعر احد .

والمثل يقول : « من يتحامق عدوه اليوم فقد يتحكم به غدا ، ومن يعاند القادرين يموت فلا هو قاض اربه ولا هو ابقى على نفسه ، ومن له حسن البصيرة يقبل بالعاجل الصغير ويرفض الآجل الكبير . »

— فليكن لكل منا طريقته الخاصة فللعرب وسيلتهم ولنا وسيلتنا .. ولكن .

وهنا تأوه طويلا ثم استأنف الحديث قائلا :

لو اتفق العرب معنا لعبثنا بالعالم كما عبث العاصفة بالزورق الصغير في وسط المحيط الاطلسي .

فأجبته وقد بدت على سيمائي علائم الدهشة والاستغراب .

— كيف يتفق العرب مع قوم مشهورين بالخيانة والغدر ، ويرون الحق على اهوائهم كأنما ينظرون بأقفائهم ولا يخافون وبال العواقب فاتخذوا عجل الذهب الآها واتخذهم عزازيل رفاقا ومن يصادقوه لا يسروه والذي يفارقوه لا يهدوه .

- لاتقل هذا ..! فمصيبتنا مزدوجة . نحن مصابون بتناحر الغرب وتسابقه في امتصاص دمائنا . لقد غشي دهاؤهم الشيطاني على بصيرتنا فاعمانا عن الصواب . والا كنا نفهم انه لا يليق بنا ان ننصاع الطرفين الى اقوالهم حتى نهلك ، ويتم لهم ما يريدون .. ولكنكم انتم العرب فيكم شمم عالية تسد الطريق في سبيل نجاحكم ، ولطالما كانت الشمم سبب شقاء اعزة النفوس . والغرب يضحك علينا جميعنا ونحن في غطيط سباتنا دائبون . سيما انتم العرب الطيبة سريرتكم ، وصفا ، قلوبكم يلعبون بكم لعب القطة بالفأر .

— ماذا تقول ؟؟. اتريد منا ان نعطيكم فلسطين ونقف سدا دونكم ايضا ونحارب الدول من اجلكم .

- كلا !! . انا لا اقصد ذاك .. ولكنني اقول ان لكل من الطرفين في الحال الحاضر انصارا واعوانا يزيدون نار الحقد وقودا ، ويهتاجون غضب احد الطرفين بشيء الوسائل حتى يبلغ التنافس بين الخصمين على اشده . وهؤلاء اصحاب الاحساس الاصم والعواطف المائتة . ومن كان هذا دهاؤه وهذه سياسته لا يعسر عليه عمل مهما كان خطيرا . ولكن فوق كل ذي علم عليم وفوق كل داهية داهية . وان الناس قد تعودوا احترام الظواهر لأول وهلة .. ولكن ستظهر النتيجة وتكون العاقبة لها ، وقريب ينجلي الصبح لذي عينين .

فقلت له متهكما :—

- اراك تهدد احدى الدول الكبرى بكلامك هذا :. قاتلكم الله ما اوسع احلامكم !! . وما اكثر اوهامكم !! .

والآن قل لي ماهي المعدات التي اعددتموها لهذا المشروع الخطير ؟ :

ـ قلت لك : ان الصبح سينجلي لذي عينين ·

ـــ أرى ان شيطان التخريب والدمار قد ركب على اكتافكم واستولى على عقولكم ·

ـ نحن نرى غير ماتراه انت ·

ـــ كأنكم صرتم قراصنة البر ·· بل لصوص الشوارع في آخر الليل عندما تخلو من المارة .. فقسم منكم يفتش جيوب الناس والآخر يهدد بمسدسه ·

ـــ انت واهم ·· نحن لانريد اذى أي انسان الا اولئك الذين يقاومون اتمام مهمتنا المقدسة ·

ـ لقد تكلمت كثيرا وسرت خلف مبادئك المجردة شوطا طويلا اكثر مما يجب ·

ولا اخفي عليك انت ايها القارىء انني كنت طيلة هذه المدة اتلقى منه هذه الكلمات بجلد وصبر ، فكانت كأنها كالحجارة التي تصك اذني صكا · وكأنه شعر بضجري وسأمي من حديثه فقال :

ـ على مهلك فانرجىء الحديث الى الليلة القادمة ·· فأما ان اقنعك واما ان تقنعني ·

فما كان مني الا ان صرفته وقمت من مكاني ميمما وجهي شطر الدار وانا تائه الافكار ، غارق في بحر الهواجس وتعبر في مخيلتي شتى الصور عما فاه به هذا اليهودي · وجعلت اناجي ربي :ـــ

رباه !! .. هل تتحقق نبوءة اليهود ويخذل العرب ؟؟ كلا .. كلا

ان هذا لن يكون . ربي انت الذي قلت : ان يدهم مغلولة وكلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله .

ثم اخذت استعرض حوادث فلسطين في مخيلتي ، فأرى باب الحرب والدمار قد انفتح على مصراعيه ، والشرذمة القليلة التي يقولون عنها ان يدها مغلولة هي ثابتة في وجه سبعة دول من دول العرب لا تتزحزح واذا ما فرت مرة عادت الكرة ثانية والحرب من قواعدها كر وفر والحوادث بين اجنحة الدهر تقبل وتدبر. ولا يعرف المصير الا الله وحده

وبينما انا غارق في هذا التفكير صرعني سلطان الكرى الذي لا يقهر .

(الليلة الثامنة)

«٨»

احضرت الرجل ، وفي هذه الليلة كانت هيئته تختلف من الليالي الماضية تماما . اذ كانت سحنته تنم عن البشاشة، وملابسه نظيفة ، وطوبة عمامته لطيفة . وصفوة القول كان منظره لا بأس به . فبدأني بالكلام بقوله :

ـ كيف كانت حالتك ليلة البارحة ؟؟ !. اظنني تركت اثرا عميقا في نفسك من حديثي بالامس . وارجوا السماح عما سببته لك من ازعاج .

ـ انني كنت في خير وعافية . اما كلماتك التى فهت بها لم تترك أي اثر في نفسي . اما غرورك بقومك والقوة التى لديهم كما تزعم ماهي الا نيزك طائش . في الفضاء لا يلبث ان يحترق وينطفىء نوره وتتفتت ذراته ، وانشاء دولتكم الموهومة التى تعلق انت عليها كل اهمية ماهى الا نظرية ليس الا .

ــ ان جميع الحقائق كانت نظريات فى اصل ابتدائها ثم تحققت وصارت لا تسقط فى الحساب والكتاب .

ــ كيف يستطيع قومك انشاء دولة يهودية فى بقعة عربية والعرب تحيط بها من كل جانب وصوب ، وهذه الشرذمة القليلة ستكون

في وسط عشرات الملايين من الاعداء ، واعداء اقوياء لا ينامون على ضيم ولا يغضون من ثار مهما تقادم عليه الزمن .

ـ قلت لك ان الضروف مسايره لهم وأعدوا لكل شيء عدته .

ـــ هب ان الضروف ساعدتهم مساعدة موقته ونظموا دولتهم واعترفت بها الدول الصديقة لهم ، فهل تبقى هذه الدولة مأمونة الجوانب مرتاحة البال للسبب الذى حدثتك به ؟؟

ـ المثل يقول « اعطني عشائي الليلة واذبحني في الغد »

ـ انى على يقين اذا استمررتم على هذا العناد انكم تقامرون بمعركة خاسرة لا نجاح فيها ، فتخسرون صداقة العرب وانتم في وسطهم ، وهذا شيء على من يفهمه عزيز .

ـ اراك تنظر الى هذا الامر من وجه واحد فقط .

ـ وهل ينظر فى هذا الامر من عدة وجوه ؟؟ .

ـ ستقع حوادث اخرى فى جو آخر لا يشعر بها غير اولئك الذين يعرفون بواطن الامور . ولا انكر عليك ان هذا العمل يحتاج الى تضحية وصبر وتأنى ، كما وان من العبث ان تغرس بذرة فى الصباح الباكر ويتوقع الغارس ان يستظل بفيئها ظهرا . وينبغي على الانسان فيما اذا لم ينجح بعمله في يومه الاول فليستقبل يومه الثانى بارادة اقوى وعزم اصح وامل اكبر وذهن احد وحيلة اوسع وتضحية اكثر .. عندئذ فلابد وان يكون النجاح حليفه .

وان الضواهر التي تراها الآن والتى تتخذها سببا للشك فى نجاح قضيتنا لا تدل تماما على ماورائها .

ـــ قلت لك : ما اشبه قضيتكم بضوء الصاعقة الذي يبهر العين ولا يلبث ان يخبو ضوءه وتبتلعه الظلمات . وهذه عصابة فوضوية ذات فكرة ثورية متهوسة لا تعرف الابيض من الاسود .

وهنا قاطعني بقوله :

ـــ نعم !! .. نعم !! .. ان كل فكرة ثورية تبتدىء اولا عند المتهوسين والرعاع من الناس ولا تنشأ في رؤس العقلاء المتبصرين ولا تستقر في ادمغة اهل العلم والمخترعين ، ويتجنبها كبار الساسة ، واذا شئت قل تنشأ في رؤس المجانين المغفلين ثم تسري مسريان النار في الهشيم وتجتاح الاخضر واليابس ومن ثم تستقر الامور وتسير سيرا حسنا كما يشاء رائدها .

ـ هب القول كما تقول . فهل تظن ان هذه الشرذمة الثورية ستتغلب على قوة العرب وتحقق امنيتها ؟؟ .

ـــ انا معك في هذا المضمار .. ولكن .. اذا كنت تعتقد انهم وحدهم يناضلون ويجاهدون فأنت واهم ، بل ورائهم القوى الجبارة .. وراءهم عتاد وذخائر أميركا واختراعاتها وقوة روسيا ورجالها وسياسة انكلترة وتدريبها والاعتماد كل الاعتماد على أميركا ورئيس حكومتها ترومان ﴿ العادل ﴾ .

ـ ان الرجل الذي تعتمدون عليه كل الاعتماد يشتغل في سبيل مصلحته ولا تظنه ذا نفع لغيره ، فهذا لا يبذر لغيره غير الذؤان ، ولا يزرع لسواه الا الزوان ، ولا يحصد سوى الهشيم ، ولا يجمع على بيدره غير الحسك والشوك ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا

ويشهد الله على مافي قلبه وهو الدم الخصام ، واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ... الخ . ﴾ واذا كان جادا في عمله صادقا بقوله عادلا في حكمه فليهب اليهود قطعة من الارض في القارة الاميركية وهي تسع لملايين من النفوس فيحقن بذلك دماء العرب واليهود معا ، ويطفيء نار فتنة تكاد تنشب بسببها حرب عالمية ثالثة لا تبقي ولا تذر .

ـ ان اليهود هم الذين اختاروا هذه البقعة من الارض وايدهم ترومان العادل .

ـ وما هو حق ترومان في هذه الارض ياترى ؟؟ هل وهب الله تعالى هذه البقعة لهذا الاميركي حتى هو بدوره يهبها لغيره ؟ . أم هو أمر السحب في سمائها ان تمطر ارضها ليخضر وجهها ؟؟ . أم هل بسطت الارض بمشيئته ؟ .. أم هل اينعت اثمار اشجارها بإرادته ؟؟ .. أم هو أمر الشمس والقمر ان يطلعا في سمائها ويسيرا في بروجها ؟؟ . فذاك الذي وهب ترومان وشعبه ارضهم هو الذي منح هذه الارض للعرب . وعلى هذا كان الحق لترومان وشعبه ان يتمتعوا ببلادهم وينعموا بخيراتها ، كما لنا الحق ان نتمتع ببلادنا كيف تشاء ، وليس لترومان وغيره حق التدخل في شؤننا . هذا ان كان له ضمير يحاسبه ولكن .. انى له ذلك ، فما هو الا كذاب جريئ ، دجال مخادع ، لا يعرف الصدق ، ولا يتقيد بالعهود ، يساعد موازين العدل على غيره ويحطم

تلك الموازين ان وزنت بها اعماله وتصرفاته ، ومثله مثل الذي يبني حجراً من جهة ويهدم مدينة من الجهة الأخرى ، ويغرس شجرة ويقتلع حديقة غناء ، ويعالج شخصاً واحداً ويميت قبيلة بكاملها ، واذا رأيت منه بعض المساعدة في بعض القضايا ماهي الا لصالحه . كالجزار يربي غنمه ويطعمها ويسقيها ويعتني بها ويحميها من الذئاب ... ولكن لا رحمة بها بل ليسفك دمها ويقبض أثمانها .

- وانكلترا ماقولك فيها ؟؟

- أما انكلترا . . فلا أحد يعرف نواياها ولا يعلم على وجه التأكيد لأي جانب تميل . وهي لا تعمل عملاً صغر او كبر الا مايتفق ومصالحها ومن المستحيل ادراك ماتضمره في هذا الشأن وفي كل شأن .

وفي الظاهر هي الآن على جانب الحياد في القضية الفلسطينية .

ولكنها في الباطن تميل الى العرب وتريد صداقتهم لما رأته من وفائهم واخلاصهم لها في الحربين العالميتين ، وفي الحقيقة هي التي أثارت هذه المشكلة بادىء ذي بدء ، وذلك بوعد بلفور لكم . وبعدئذ تأكد لديها خيانتكم وغدركم ، وذلك بعدما مهدت لكم الطريق وارادت ماأرادت من الخير تركتموها ورميتم أنفسكم في أحضان أميركا وروسيا الشيوعية فهي الآن قد تخلت عنكم ونفضت يديها من صداقتكم

والآن وان وقفت على الحياد في هذه القضية . . لكنها تدفع أية دولة تحدثها نفسها الدخول في شئون العرب وتمنع كائنا من كان السيطرة عليهم وعلى هذا يجب عليكم ان تخرجوا هذه الدولة من حسابكم .

وفي الوقت نفسه ان العرب لا يثقون بصداقة أى شخص وانما يعتمدون على انفسهم في سبيل قضيتهم. لانهم يعلمون كل دولة تضحي صديقها وتجعله قربانا لها فيما اذا أحرجتها الظروف ورماها الخطر في أحضانه.

- اشكرك!!. عرفت ذلك. والآن ماقولك في روسيا الشيوعية؟؟

- اما روسيا الشيوعية فتختلف كل الاختلاف عن زميلتيها، فهي أشبه باللصوص واقرب بقطاعي الطرق، فلا يهمها في هذا العالم فرد من الافراد او شعب من الشعوب او امة من الامم أو دولة من الدول، فلا يهمها.

الا من يدين بدينها ويتمذهب بمذهبها ويتظافر معها على الظلم والطغيان ويحالفها على الغدر والخيانة، فكانما الذي وزع الظلم والجور على سائر البشر قد اختصها بنصيب وافر منه. وجل حظها منه الأوفى فهي تسخر العمال والضعفاء لأغراضها الخاصة وتسوقهم سوق الأنعام ولا يدرون مصيرهم وتكتسب رضاءهم بلقمة تطعمهم أياها أو بعظم تلقيه اليهم كالكلاب السائبة، ومع هذا تدعي المساواة بين الأفراد مثلاً وبين الزعماء على حد سواء. وتسلب هذا وتنهب ذاك وتقتل شعباً وتفتك بآخر مدعية يجب من التخلص من رؤساء الأقطاع وتوزيع العدل والمساواة بين الطبقات وينبغي حماية الضعفاء من الاقوياء.

وقد توهم المغفلون بأن الاموال التي تصادرها من الاغنياء توزعها على الفقراء بالسواء، وبعملها هذا لم يبق فقير ممن تمذهب بمذهبها

ولذا قبل أن يهز ستالين شاربيه لهم تبعوه كما يتبع الرعاع (أعوان التجار) في آخر الزمان كما يقولون. عقول شباننا في هذا العصر، كأن هذا محمد بن عبدالله (ص) أو الخلفاء الراشدون.

ان المذهب الذي وصفه (كارل ماركس اليهودي) وشرحه (فردريك أنجلز) وطبقه (لينين) وزملاؤه ونفذه (ستالين) وزبانيته ماهو الا شبكة صياد ماهر دقيقة الصنع. ماسك بأطرافها لص جرىء خبير بمهنته التلصص فنان بقطع الطرق، لايتورع في ضحاياه، وهذا النظام أو المذهب لايراعي فيه الا مصلحة الأقوياء فقط والمستبدين لاغير، أي الذين قابضين على ناصية الأمور في روسيا تحت ستار محوك باتقان من خيوط التمويه مصبوغ بلون الكذب والرياء.

لذا نرى العمال والفلاحين وغيرهم من الشعب يكدحون ويناضلون ولا يحصلون الا على ما يسد رمقهم من القوت فقط.

وترى القصور الشاهقة والسيارات الفخمة والحدائق الغناء والبذخ والترف لستالين وزبانيته، وباقي الطبقات محرومة من هذا، وهي تزعم بأن شيوعيتها تمثل العدل والمساواة على هذه الأرض ومستمدة قواعدها من شرائع الطبيعة. الا ان الحقيقة غير ذلك.

فهل يعيش ستالين والعامل سواء ؟.

وهل سمعت أن في روسيا من الطبقات التي هي دون الحكام شخصاً ما يملك سيارة أو قصراً أو خادماً على الاقل او... أو... الخ...

بخلاف أنظمتنا وقوانيننا التي تخول العامل والكاسب والفلاح والتاجر يتصرف بأمواله كيف شاء، فلايعارضه معارض ولا يحاسبه محاسب عما يفعل

وسيأتي يوم يتذوقون فيه ضربة الحق التي لاتقاوم ، ولنعود الان الى أصل الموضوع ونقول .

نحن الان في ساحة مثلثة الزوايا ، يقف عند كل زاوية رجل جبان عنيد يريد اقتناص فريسته قبل صاحبه .. وهنا ثلاثة أفكار مختلفة وثلاثة مبادىء متباينة وثلاثة آراء متنافرة تقوم في ميادين المناورات وحرب الأعصاب . تتنافر وتتقارب ، وتتدافع وتتجاذب ، وتتطارد وتتسابق . وتتباعد وتتلاقى عند محور مركزها .. ولكن لاأحد يعزم سيبدأ الغزو ولمن يكتب الانتصار ، وأن هذه الحرب الدائرة رحاها الان في أرض فلسطين والتي قد تكون سبباً لحرب عالمية ثالثة ، قد هيأت ونصبت مدافعها دولة من الدول الثلاث والثانية مثلتها وسددتها تسديداً محكماً والثالثة أطلقت قنابلها ودمرت الانسانية تدميراً .

[الليلة التاسعة]

«٩»

حضر الرجل وبدأني بالكلام قبل ان ابدأه كالليلة الماضية فقال:
ـ البارحة تحدثت كثيراً وبرهنت كثيراً. وربما كنت مصيباً في كل أحاديثك،، ولكن من سجية الانسان ان لايشعر الا بالحق الذي له، واما عن حق غيره فيعمي او يتعامى، ومن عادة بني الانسان ان لايقيم وزناً لكل شيء ولا يقدس أمراً مهما عظم الا حين يكون له فيه مأرب والا فيدوسه بأقدامه، ولا يغرك بعض الناس بأدعائه الضمير والوجدان وغير ذلك من الكلمات الرنانة الجوفاء، وما اشبهها بفراغ الطبل يقرع الآذان بصوته المزعج ولو لم يكن فارغاً لما ازعج صوته الفضاء. اؤكد لك ان الضمير في هذا الزمان وفي كل زمان تمثال ذهبي لاعقل فية ولا ارادة، والناس يسجدون للعجل اذا كان ذهبا، ويتمرغون بتراب اقدامة. والحق سراج ضعيف يمحو نوره ضياء الاصفر الرنان ويعلو عليه شعاع العظمة والجاه، سيما اذا كان مقروناً بالجبروت، وجاعتنا لديهم من هذه المادة ما تطاطيء لهم الرؤس، وعلى هذا الاساس أني على يقين ان سيتم لهم الأمر ويكون الحق بجانبهم.
ـ لحد الآن ان كفتنا هي الراجحة وبأذن الله سيكون لنا ماتريد
ـ لا انكر انتم الى الآن فائزون علينا،. ولكن الحكم لايكون قبل النهاية، فأنتظر واني معك من المنتظرين.

ـ لا يعميك الغرور ! . فأن الطريق الذي سلكتموه وعر المسلك ، مفروس بالأشواك وان كنت تراه معبداً سمحاً . لكنه محفوف بالضواري وفي جوه قتام كثيف تتلوه ظلمات في اثر ظلمات . وهذه الظلمة لايدري أحد متى يطلع قمرها وتشرق شمسها . والعاصفة تزأر ليس لها من هدؤ وقد التحم الطرفان بصراع عنيف ، وعلم كل منهما بأن حياته تتوقف على قهر خصمه والتغلب عليه . فأن تراخى لحظة سيكون الموت نصيبه لامحالة . ولأجل هذا لن يترك العرب قومك الا جثة هامدة تحوم حولها العقبان .

ـ رباه !! . عفوك ما بال عبادك يتقاتلون على ارض انت ما لكها الأصلي ، ،

فقاطعته :ـ

ـ قد أرتكب قومك غلطاً فاحشاً بعداوتهم للعرب غير انني اعتقد ان الوقت متسع للتفاهم والاصلاح اذا مد اليهود يدهم متصافحين مع العرب سيعيشون معهم عيشة راضية مرضية . وينسى العرب ما سببوا لهم من متاعب . ويجدر بكم يا هذا ان تكون لكم من الدهور عظة ولا فائدة من التعلق بأهداب الأمل الباطل :

ـ المكتوب لايمحى :: والذي تريده الاقدار يكون ، والمقدر كائن : والمثل يقول : اذا جاء القدر من الباب قفز الحذر من النافذة .

ـ انكم «كما قيل» عميان تستحقون الشفقة ، تقبلون أفواه الذئاب ولاتبصرون . وتمتصون لسان الأفاعي ولاتعلمون . وتحفرون قبوركم بأظفاركم ولاتشعرون .

والى هنا سكت لأرى تأثير كلامي في نفسة ، أما هو فبقي يفكر ثم رفع رأسة وقال :

- هذا ما لا يجوز ان افكر فيه . لأنهم أدرى مني بالضروف التي تحيط بهم ولكن بربك قل لي هل يروى رذاذ الندى روضـــة أحتبس عنها الغيث واصابها اليبس والجفاف اعواماً بل قروناً ؟؟

- انك تقصد من وراء كلامك هذا بأنكم مصرون على عنادكم ،

- أفهل تظن بأننا نقنع بغير ارض تكون لنا فيها دولة وحكومة ؟ ، أوهل تظن اننا أمة ضعيفة ؟؟ وهل تعتقد أننا نا ئمون غير مستيقظين ؟؟ وهل تتصور أننا لم نحسن التدبير لهذا المشروع ، فلو عرفت التدبير المتخذ أساساً لهذا الغرض لما نحت علينا باللائمة ، اذ لم تجد فيه خرقاً ولم تر فيه صدعاً . اللهم الا اذا تدخل فيه اصبعا القضاء والقدر وقضيا بفساد ذلك التدبير . ومع هذا فأننـا لو خسرنا هذه اللعبة فستبقى الثانيـة وعليها المعول ، ولكن حتى الآن ان ورقة اللعب التي بأيدينـا لاتزال قوية وعليها معولنا ،

- وما هي هذه اللعبة يا ترى التي عليها معولكم ؟ ! ،

- تظن ان الانسان يحيا بالجهاد وحده ويا لكفاح والنضال يعيش كلا ! ! ،

بل بالحيلة والدهاء والمكر والخداع . وانت ترى ان أمكر الناس اسعدهم طالعاً من اشهدهم جهاداً ، واخدع الناس أجلهم احتراماً من اكثرهم صدقاً ، ونحن لدينا جعبة خفايا وغوامض من هــذه الانواع ، ولدينا شعور وافكار لاتظهر الا لعالم الخفيات والاسرار .

- كنت تقول لو تصافى العرب معنا لعبثنا بالعالم اجمع. والآن تقول عكس ذلك. أنتم على هذه الفكرة دائبون «فكرة الغدر والخيانة والمكر والخداع» اذن تريدون العبث بالعرب وحسب.

- ان هذه المصادفة التي واتتنا لن ندعها تفلت من ايدينا، وللمصادفة احياناً من الفوائد مالا يكون عشر معشار في المقاصد. ونحن بدورنا نستطيع متابعة العمل الى النهاية مهما نلاقي في سبيلنا من عقبات،

- ان الموت سيكون نصيبكم حتما. والضربة ستكون هائلة مخيفة،

- اننا لانكترث بما توجهونه الينا من تهديد ووعيد ولوم وتقريع. ومهما يلحقنا من ضرر فهو اقل ضرراً من التراخي في عمل الواجب،

- قبل هذا تقول بودنا صداقة العرب والمصافات مابيننا. وقد اتخذنا زاوية من الارض لنعيش بين ظهرانيهم وهم ابناء عمومتنا) وهنا تنقض كلامك وتحكي ضده،

- ان قومي في سبيل مبدئهم لا يعتقدون ان هناك صديقاً اوعدواً، بل الصديق والعدو في نظرهم واحد، فأذا كانت المصلحة تقضي بأن يتقربوا من عدوهم بشتى الوسائل فأنهم لن يترددوا طرفة عين! وان كانت تقضي بمحاربة اصدق الأصدقاء لهم فأنهم لن يتأخروا لحظة واحدة، فهذا شأنهم دائما وابداً، وهذه سنتهم منذ ان عرفوا انفسهم.

وفي هذه الآونة نفذ صبري. ولم أعد أطق حلماً. فقلت:

لقد ابديت وقاحة يا هذا!! وقاحة لم يستطع أي مخلوق احتمالها اراك تتشدق بخبث قومك وتمتدح مكرهم وتبجل خداعهم وتكبر دهاءهم وتستحسن أكاذيبهم كأنك تريد ان تخيفني بالخبث وتهوب بي بالمكر حتى يضعف جناني

ويتضعضع اعاني من هذه الفئـة المشردة التي لايقام لها وزن حتى عند الزنوج ،

فابتسم ابتسامة الخجل والوجل ، وقال ،

- عفواً ،، ان كنت أخطأت ، فالعصمة لله وحده ، ولكن . أما عاهدتني ان لاتعترض على اقوالي ولا تنزعج من كلماتي . فأذا كنت لاتريد الحديث فاصرفني وارجعني من حيث اتيت ،

بقيت صامتاً برهة حتى سكن غضبي ، حيث رأيت نفسي متحـديا أياه والحق بجانبه فخجلت ثم قلت له :

- لقد تماديت في الغلو بقومك وكأنك وجدت مادة غزيرة للحـديث في هذا الشأن ،

- ان شئت فلم اتكلم قط ، وحسبك ما حدثتك به .

رأيت الوقت قد فات في هذه الليلة فصرفته على ان احضره في الليلة الآتية ، وقمت من مكاني والغيض لايزال يرج الأرض تحت قدمي رجاً وكنت أحس ان الارض مرنة تحتي تميد بي يسرة ويمنة ،

[الليلة العاشرة]

[١٠]

احضرته كالمعتاد، ولكن هذه الليلة رأيت سحابة من الكآبة تعلو وجهه والوجل ظاهر عليه. فبقي واقفا حتى أوعزت له بالجلوس، فجلس مطأطئ الرأس، كأنما ارتكب امراً اداً .. عندئذ مسيته بالخير وسألتُ حاله ولاطفته ببعض الكلمات المنكتة، وكنت اذ ذاك ارى سحابة الكآبة تتقشع شيئاً فشيئاً عن محياه، ولاحظت صورة قلقه واضطرابه تسكن تدريجياً. وقد سري عنه قليلاً،

فقلت له :

- كيف قضيت ليلتك البارحة ؟،

- فنظر الي مستغرباً عما سألته، ثم أنتبه وقال :

- لقد تساوت الامور كلها عندي. ولم أجد في هذه الحياة فرقاً، تعودت الشقاء. واصبح الموت بغيتي الوحيدة لأنام في مكاني نومتي الأبدية.

فقلت له مازحاً :

- قد تبرح هذا العالم الشقي الى عالم اشد شقاء على أمثالك،

قال وهو يبتسم :

ان لي رباً في السماء هو ارحم بي من ابي وامي، يتساوى بين يديه عباده كلهم في يوم الحساب،

فأشفقت عليه لما رأيته على هذه الحال ، فقلت له :
ـ أراك صموتاً هذه الليلة يا يوسف كأنك لم تود ان تتحدث كعادتك
فنظر الي نظرة متوسلة كأنه يقول اتركني وشأني وأعفني عن الحديث
فاردت ان أسري عنه بعض الشيء قلت له :
ـ نسيت ان أسألك عن مصرفك .. فمن أين تأكل وتشرب وتلبس ؟؟

ـ ان المأكل والمشرب والملبس كله يأتي واحصل عليه بسهولة ، . وان كنت لاأعتني بهذه الاشياء كثيراً ،

وطفق يحدثني بأشياء لامجال لذكرها هنا ، فقلت له :

لاتخرج عن الموضوع الذي تحضر من اجله .
ـ ما الفائدة من حديث قد تكون عاقبته علي وخيمة ؟ وكيف استطيع متابعة الحديث وانت تنزعج لأقل شيء عما لاترتضيه ؟؟
ـ لاتذكر فيما مضى . وعليك بالساعة التي انت فيها !
ـ اذا تتشد وتعتصم بالحلم ولا تعتد بالعواطف ، وتعدني ان لا تنزعج سأحدثك بما اعلم من جميع الامور ولك الخيار في تصديقها او تكذيبها

ضحكت من كلامه واعتداده بنفسه وايمانه بقضيته الى هذا الحد :
ورماني بنظرة عميقة ، وقال :

ـ اني لفي عجب من ضحكك ، لاني لاأرى له سبباً ، ومعذور اذا قلت انك تضحك مني ، اضحك ما شئت واضحك ملء فيك ، لكنني اقول ما أعلم به ، وقد يكذب الانسان في سبيل مصلحته . الا أنني اتكلم عن رؤية وصدق نظر ، ولو صبرت على اتمام حديثي بالامس لكفيت نفسك مؤنة الصبر والانتظار ،

وعبثاً حاولت أن اصوغ كلمة واحدة لأرد عليه واخرج بها عن صمتي الطويل اضفت ذرعاً من نفسي وظهرت علي البغتة ، ولم أر مخرجاً من هذا المأزق الا ان اقول له : تكلم بكل حرية ! ! ، فقال:

- لقد وصفت قومي في الخبث ونعتهم بالخداع والدجل ، ولكن هل

هذا يعرقل سير قضيتهم ، ألم تر كم من خبيث مخادع وماكر دجال يرسل له كوكب سعده خداماً غير مرئيين يجلبون له السعادة والهناء . ويحققون له آماله وامانيه . ويزيلون من امامه جميع العثرات ، ويبعدون عنه العراقيل ويصلحون هفواته واغلاطه ويهدمون له أكم العقبات ويشيدون مكانها تماثيل العز والمجد !! ، ولكم ترى من طيب مسالم . طاهر السريرة، حليم عاقل ، مفكر قدير . ومحسن كبير حليفه الفشل والخذلان يتعثر بحسناته لا بسيئاته ، واذا احسن اصابته شرور المحسن اليه ، وربما هلك بسبب ذلك الاحسان ، وكم ترى من اثيم مجرم يسرح ويمرح يمشي تيهاً مصعراً خده للناس . والناس يبجلونه ويحترمونه . وهو يقتل ويسلب ويغتصب ويظلم . مع ذلك فهم ينسبون له الفضيلة والشرف ، وكل عين عنه عمياء ، ولكم رأيت من بريء ضمته جدران السجون ولم تجن يداه أي جرم ! ! . فبم تعلل هذه الاشياء ؟ اوهذه حقائق ثابتة لا سبيل الى مغالطة النفس فيها فهل ننسبها القوة البشر ؟ أم لفعل القدر ؟ ؟ بل كل هذا من فعل الأقدار

ولله في خلقه حكمة لا تدركها العقول .

- قد تكون مصيباً في رأيك ، وصحيحاً في اعتقاداتك . ولكن الامر

الذى قمتم به لجميع الدلائل تدلنا على انكم ستخسرون هذه القضية حتماً

- لا تغرك الظواهر ، نحن كدنا ننجح في هذا المسعى من مدة بعيدة

لولا أن حالت دون ذلك ضروف وملابسات وضعتها الأقدار في طريقنا فعرقلت مساعينا بالنسبة للسرعة المتوخاة ، ولو علمنا بالأمر من بدئه لأحجمنا عنه هنيهة ، غير انه بلغنا مفترق الطرق ونحن لا ندري ، ولما أخذ كل منا طريقه أي اختلفنا في النقطة الحساسة انتبهنا الى الغلطة التي ارتكبناها فعدنا وبادرنا الى تلافيها .

- هل بامكانك أن تخبرني بالنقطة التي اختلفتم فيها ؟؟؟!
- سأخبرك بشيء أهم منها واحدثك بخبر انت وجميع الاسلام تؤيده
- هات ماعندك .

فاستعد للكلام ، وقد بان على وجهه الاهتمام بصورة زائدة فقال :
- ألم تسمع وتقرأ في اخباركم أن السفياني سيظهر في وقت ما . ويحكم ويكون كذا وكذا .
- نعم !! . ولكن ماعلاقة هذا الخبر بقضيتكم ؟ .
فضحك ضحكة صفراء وقال :

- ان كلمة سفياني جاءت مغلوطة . اما سهواً أو عمداً . وأما تلاقفتها الأفواه خطئاً بمرور الزمن الطويل الذي مر عليها منذ ذلك الحين والصحيحة هي (صهيوني) (لاسفياني)

فبهت لهذا الخبر ولهذا التفسير واجبته :
- ليس عندك دليل على ذلك غير شهادتك لنفسك . فانت تعلل الاشياء

عما تلائم مزاجك ، وتفسرها بما يشتهيه قلبك وتؤلها كما تحب . زد على ذلك أن كلمة (سفياني) تختلف عن كلمة « صهيوني » وبينهما فرق كبير في التفريق بالحروف ولا يمكن أن تكون حرفت عمداً أو سهواً الى هذا

فابتسم أبتسامة فاترة وقال :

- أجل ! ! أن كلمة (صهيوني) تختلف عن كلمة سفياني في الكتابة .

ولكنها لاتختلف لفظاً ، او بعض الحروف المختلفة عنها في الكتابة فقد توافقها باللفظ كالسين والصاد والفاء والهاء والياء والالف والصحيح كل ماأجزتك به ، فهي (صهيوني) لا (سفياني) .

- كما قلت آنفاً . ليس عندك دليل الاشهادتك لنفسك وتأويل ما انت قانع به ومغروس في ذهنك . وهذا أمر يسهل نطقه ويشق تصديقه .

- الحق بجانبك وليس من حقي ان أطلب من الغير أن يسلم بصحة دعواي أعتباطاً ولكنني .

وسكت هنيهة ، فرددت عليه :

- ولكنك . ماذا ؟ ؟

فتحفز للكلام وانقلب رجلاً ثانياً كأنه يحمل بين جنبيه قلباً خالياً من الهموم . وطفق يتكلم بابتهال وسرور وقال :

- ان الحوادث التي نراها الآن ماهي الا سلسلة واحدة كثيرة الحلقات متصلة بعضها ببعض ، وأراك أحرجتني أن أطلعك على سر مدفون في قلبي قد حرصت عليه كثيراً ، واحتفظت به دهراً طويلاً .

ولكنني تعبت هذه الليلة والوقت قد فات . فأذا أرجئت الحديث الى الغد أخبرتك بما سيكون وهو كائن لامحال كما مثبت في الأخبار . فهل تأمر بصرفي ؟

فصرفته وفي الحقيقة ماكان بودي أن أصرفه حيث شاقني حديثه •
ولكن اضطررت لمسايرته . لذا أوعزت بصرفه مكرهاً وقت من مكاني
لأنام بقية الساعات القليلة .

« الليلة الحادية عشرة »

« ١١ »

الرجل ، وكالعادة تبادلنا التحية فقلت له :

خضر — لماذا يحاول الأنسان اثبات الباطل وتغيير الحقايق صوناً لمصلحته وفيما تدعوه اليه عواطفه ؟ ؟ أليس هذا من قبيل الوهم؟؟.

فنظرني مستغربا وقال :

— ألم نتعاهد من قبل ونشترط على الصدق فقط وأن لايكذب واحدنا الآخر ؟ ! • •

— بلى ! ! • •

— اذن • • لماذا تشك في صحة كلامي ؟

— من قال لك اني لااعتقد بكلامك • • ولكني أشك بصحة اعتقادك فقط • •

— أنا أقسم لك انني لم ألفق لك حديثا مكذوبا . ودعنا نتحدث في الأمور حديث رجل لرجل وسأريك حقيقة ماتشك به في مرآة جلية،فاذا نظرت فيها بدقة وحققت بها مليا عرفت كل شيء •

— هات ماعندك لأري هذه المرآة العجيبة • !

— مهلاً ! • لاتتعجل • ستفهم كل شيء من سياق الحديث •

— عجل ! ! • ! اني منتظر حديثك بصبر فارغ •

- ترى هذه الحرب التي مدت ذراعها وهوت به على ما؟ ما بالتدمير والتي جلبت اهو الا شداد الا تدخل في دائرتى الوصف والحصر ، وقد يفنى فيها من اليهود أكثر مايفنى من العرب ، وقد يفنى من اليهود نصفهم أوثلثاهم .

ولكن كل هذا لم يصرفهم عن عزيمتهم ، وسيكون دفاعهم مستميتاً

ليكسبوا بعض الوقت لاداء عمل هام معين يجهله العرب ويعلمه كبار اليهود ولهذا العمل من القيمة الذي يجعل اليهود أن يقفوا حتى الموت . وهذا مكتوب عندهم في التوراة وفي أخبارهم رموز لايعرفها الا الراسخون في العلم . وهو المعراج الذي تصعد عليه نفوسهم من الملأ الأدنى الى الملأ الأعلى . وهذا مكتوب من الله لايستطيع محوه . بشر

فقاطعته بحدة وصرامة :

- أبهذا الاعتقاد وبهذه الافكار تتشبثون في الصعود الى عالم الملائكة والملكوت ؟؟ أنكم تحرثون في اليم ، وتضربون في بيداء لانهاية لها من الجهالة العمياء : وتبنون صروحاً من ملح على سطح الماء . وتشرعون بمحاولات غير مجدية . فانخدعتم ببارق الامال وماقصدتم الا السراب .

فقاطعني قائلاً :

- مهلاً . لماذا تتكلم بصرامة ؟ وتغلي نفسك وتثير اعصابك وتفقد حاسة المرح في الحديث لمجرد انك مصيب وانا مخطيء . وقد لاتكون ولا أكون ؟؟ .

فقلت له مقاطعا :

- قد لا تكون ولا أكون ؟ اهذا زعم باطل . حيث لم يتنازع اثنان

على أمر من الأمور الا احدهما باطل والثاني على حق .

- قد أوافقك على ماتقول . ولكن اخبرني ان المستعمرين الذين تراهم الآن يتنازعون على الأرض ، هل فيهم جماعة على حق واخري على باطل ؟ ؟ أم كلهم على حق ؟ ؟

أم جميعهم على باطل ؟ ؟

- تلك مسألة ثانوية لاتدخل في دائرة الحصر من المنازعات .

- البشر كله من فصيلة واحدة ونوع واحد وان اختلفت الالفاظ وتباينت اللغة وتغايرت المعنى ، والدم ذلك الدم الذي يجري في عروق الانسان مهما اختلفت بشرته ، فالغريزة موجودة فيه والسجية كائنة (حب الذات وجمع المال وتجاوز القوي على الضعيف والأمارة وان كانت على حجارة) .

- انك واهم . يوجد في البشر من يضحي نفسه في سبيل غيره ،

- كل ذي مال تتوقف أعماله على المنافع لاعلى العواطف . ومهما تكن القضايا مؤلمة وسيئة لايكترث لها ولا يهتم بها

- بل يوجد في الناس من لايكترث بنفسه بقدر مايعتني بغيره ويراعي حقوق سواه اكثر مما يراعي حقوقه .

- اذا رأيت شخصاً يراعي غيره ، فاعلم انه يتوقع منه نفعا لنفسه .

واذا وجدت احداً ينادي بالوطنيـة أو ينتصر لرئيسه أو رئيس حكومته ، فاعلم انه لم يرجوه لنفسه من المصالح النافعة . وتأكد ان الأنسان لايعمل عملا كبيراً اوصغيراً الا اذا توقع الانتفاع منه عاجلاً او آجلاً .

وحتى عبادة الله سبحانه وكل عمل خيري من دين وادب وغير ذلك انما يقوم به لمصلحته ، ولو لم يكن خوفه من النار وطمعه في جنان الخلد لما عبد الله العبادة التي تراها ومن ينكر ذلك فأنه يخدع نفسه اوانه من الرعاع الذين لايفهمون الحياة الصم البكم والذين يساقون سوق الأغنام في آرائهم واعتقاداتهم ينعقدون مع كل ناعق،

ـ أي شيطان اوحى اليك هذا واراك الأوهام في اشباح الحقائق وجنحت الى تفسيرها وتأويلها ما تمليه عليك شياطينك ، كأنك تعيش في الخيال بين طبقات الفضاء .

ـ اما انا فارى نفسي غير ما تراها انت . ولا اجد علي بأساً في ذلك . فالعلم والرأي والشعور ليست وقفا على أناس دون أناس . وانما هي قرع الحجة بالحجة ودفع الرأي بالرأي ، واعتقد انك تعلم هذه الأمور جيداً . ولكنك تريد مغالطتي .

ـ انك تدس الحنظل في كأس الحلاوة بهذا الاسلوب الرقيق ، تبتدئ اكساء الحقائق بستار الباطل من الزخرف الشفاف لايلبث ان يتسامك رويداً رويداً حتى يضحى هو الاصل وتحجب الحقائق عن الابصار فلا يراها احد ،

ـ ما ذا رأيت من سيماء الدجل علي ؟ ! ،

ـ انك تفتل من الخيط الذي بيدك حبلاً طويلاً لاخاتمة له ولانهاية وتربطه من طرفيه وتسير عليه وتمسك عصاة السحر بيدك كي لايختل توازنك وتسقط من عل فتتهشم هامتك .

فنظر الي نظرة انكسار وقال !

- هل ضايقتك بحديثي ؟؟ اراك قد بالغت في توبيخي وهل اسأت الادب في كلامي ؟ اوكان علي ان اعرف حدي فأقف عنده ؟

- لاريب انك قد خرجت عن الموضوع الذي ابتدأت به بثرثرة لارأس لها ولا اساس ، وقد وعدتني في بدء الحديث ان ترينى الحقيقة وتعرفنى الواقع .

- ان كلماتي كانت تمهيداً لمطلبي الكبير ومقدمة لختام حديثي العظيم واذا أطلت الكلام اكثر مما ينبغي فلا تلمني وأعذرني لاني غريق في بحر الزمن ، في وسط لجة من الظلمات . ومثلي كعابد النار كفر فيها ثم التقى بها فلفحه وهجها ،

- انك تدخل حديثاً في باطن حديث ، وتصور شيئا من لاشيء . وتدور حتى تريد ان تفهمنى أن الحق في جانبكم والكفة الراجحة هي كفتكم .
فبقي ينظرني بنظرة المفكر المتأمل . كمن يستعيد سلسلة افكار متقطعة الحلقات ويسابق بذهنه الحادثات . فقال وكأنه يخاطب نفسه ،
- رضاء الناس غاية لاتدرك . قد يبقى الانسان صابراً ويحتمل كلما ينصب على رأسه من غصص ،
ثم سكت وتأوه واخذ يبكى بكاءً مراً . وفي خلال بكائه يقول :

- المصيبة عظمي ، ولكن في ظلام هذه المصيبة أرى قبساً من نور ، رباه ان!! التعساء داخل اجسامهم يقطن الموت في اجواء الحياة ،
وجعل يناجي ربه برهة ثم سكت واخذ صدره يعلو ويهبط وصار

يتنفس بصعوبة . فأشفقت عليه وصرفته وقمت من مكاني وذهبت الى الدار على ان احضره في الليلة القادمة وهي الليلة الاخيرة للميعاد المضروب وفيها يكون ختام الحديث،

(الليلة الثانية عشرة)

«١٢»

حضر الرجل ، وبعد التحية الخاصة بقي كلانا صامتين ، وكأن كلا منا يفكر بأمر ذي بال وهو متحير بعقدة من عقدات الزمن ولم يهتد الى حلها . بقينا على هذه الحال فترة ثم قطع حبل السكون بقوله

- أود هذه الليلة وهي آخر الليالي أن أختم الحديث بكلمات لم تسمع بها من قبل ، وأبسط لك قواعد أن حللت رموزها وفككت أقفالها عرفت خطورتها وقدرت قيمتها ، وإذا فهمت معانيها أغنتك عن كل حديث وكل خبر .

- إن الرموز والألغاز كلمات مطاطية تصل بنا الي ماوراء اللانهائيات وأنا شخصيا لا أحب الألغاز ولا أريد أن أتعب نفسي في حل رموزها وفك غوامضها . فأذا كنت من الصادقين فأتني بحديث واضح جلي وأرحني من المتاعب .

فرمقني بنظرة عتاب وقال :

— إن ما أريد أن أحدثك به هو محفوظ في صدري من الأسلاف فبقي ملفوفاً في طيات ذهني ولم تجده في الكتب والأسفار القديمة والحديثة ولهذا الحديث أهمية عظمى لمن يعيه ، فهو خفي واضح ، غامض جلي ، سهل ممتنع ، كبير المعاني ، قليل الألفاظ ، متقلص محدود ، متقطع منسوج

والى هنا سكت وظل ينظر في عيني كأنما يفحص قلبي ويريد الجواب من عيني ، وشعرت من نظراته كأنه بلهفة زائدة وشوق كبير الى بسط حديثه ، وأنه يريد الأفضاء به وبحاجة الى إدلائه . قلت له

— ربما كان حديثك ذا أهمية كبرى ، وقد يهمني كما يهمك .. ولكن أخبرني ماهي الفائدة التي أجنيها من حديثك هذا إذا كان مقدمته ألغازاً غامضاً وتمهيده رمزاً معمياً .. فما عرفت منه كلمة واحدة ؟

فضحك ضحكة قوية وقال :

— أين مواهبك التي تتحلى بها ؟. أراك قد خلعتها جانباً ، وجعلت نفسك من السواد .. وأنا أرى فيك من المعرفة ما تنكرها على نفسك من حل الغوامض وفك الرموز . فخصك الله بقسط وافر من الذكاء ، وجعل نصيبك منه الأوفى !! .: والآن لا أدري لماذا تنكر علي ذلك ؟

— أشكرك على هذا المدح الذي يتفق مع مقدمة الموضوع .. ولكنك أخطأت بقيافتك هذه .. حيث أني لا أعرف الألغاز ولن أحبها ، ولا يغرك ما رأيت مني .. فالعلم الذي رأيته شيء وحل الرموز شيء آخر والذي رأيته بنفسك وتأكدت من تحقيقه ماهو إلا دائرة ضيقة سجنت بها نفسي ربع قرن حتى وصلت الى مبتغاي بطريق المصادفة تقريبا . وهذا العمل الذي أحرقت به نفسي واكتويت بناره لم أستفد منه حتى الآن أفادة أكثر مما رأيت . وقد يستفيد منه غيري أكثر مما أستفيده أنا ، ومثلي كمثل شجرة في الصحراء المحرقة تظلل القوافل بوارف ظلها وتفيئهم بأغصانها المنتشرة وأوراقها الخضراء وهي تصطلي حر هاجرة الشمس وأوارها .

فحدق بالأرض برهة وجعل يحك قفا رأسه بأطراف أصابعه ويتشاغل بتعديل عمامته . ثم أجاب :

ـ لقد غلبتني على أمري وضيقت علي أبواب الكلام ، فأعترف بعجزي ولكن حديثي في هذه الليلة طريف ومفيد ، وقد تطرب له وتعرف نبذآ قصيرة منه وتطلع على أسراره شيئا فشيئا كلما عدت النظر فيه . سيما هذه الليلة هي آخر ليلة من أحاديثنا ، وإن فاتك فاتتك فائدة كبرى

ولما رأيت الحاحه قلت لنفسي « ربما أستفدت من حديثه كما يقول » فرددت عليه :

ـ هات ما عندك !! وأقتصر ما أستطعت !.

عندئذ تحرك حركة آلية .. وتهيأ للحديث بكل عناية . فكأنما يريد أن يلقي خطابا مرتجلا . فقال :

— سمعت من قدماء العلماء الذينهم لا يلقون القول جزافا . وهم أخذوه أبن عن أب وأب عن جد ، وهكذا تلاقفه الخلف عن السلف حتى وصل لي ، وقد يكونون دونوه على صخرة أو علي ورقة أو على شيء يصلح للكتابة في ذلك الحين ، ولربما عثر بعض الناس على هذه الكتابة أو يعثرون عليها فيما بعد .

قال العلماء :

« إن شجرتنا في الطور راسخة ، وفوق ذراها المجد واضح نوره ، تضيء من الوادي المقدس نارها ، ويملأ الخافقين شعاعها ، وهي المستضيىء من ذونها أميالا فأميال ، ويالة من واد يثمر الغني في تربته ، وعلى شاطئيه فروع عديدة وأغصان منشورة ، أصولها في العدوة القصوى ،

وفروعها فى أرجاء الدنيا ، والصخرة الصخرة التي فيها إثنتا عشرة عين يروي ماؤها أصلاد الصخور ، وشمسها هى الشمس التي تشع من الفلك الأعلى الى المركز الأدنى ، والعلة الفاعلة والقوة المدبرة والحية التي تسعى تلتقم مادب حواليها من سحر مستمر .. عندئذ يهبط من هبط الى الجانب الغربي ليمتثل الشروط المقدمة ويقبل من أقبل ويدبر من أدبر ، ولا يقبل إلا من يريد نور الظاهرة ، وشتان ما بين الذي أخذ وبين الذي أعطى فتلك مشكاتنا ، لنا من سناء ضيائها ما يشبه القمر إذا بزغ من الجانب الشرقي ، مقترنا بطوالع البروج السبعة ، منقلبا بدلوها التاسع ، تسير الشعرى أمامه والفرقدان خلفه ، والثريا تكون رقيبة وباقي النجوم جنوداً . يتقدم صفه صف . وإذا ما تم نوره لم يكن ذا ما يعارضه من خسوف وتتربع الزهرة بالمريخ ، ويواصله سعد المشتري مقرونا بعطارد ، دافعا زحل جاذبا الشمس . عندئذ يحمل الكاف على النون والفاء على الياء والراء على الدال ، والواو محوزه فيجمعها الالف ، والياء هى الخاتمة حقا . فعندئذ يخرج الطاوس من العالم الضيق الى العالم الفسيح فلا يحتاج الى إشارة وتلويح وتلميح ، معلومة صفاته . مجهولة حياته . ظاهرة سيماؤه واضحة آياته . واجبة طاعته . في قلق راحته . أصحابه أضداده . أحبابه حساده مكرمه من قومه تابعوه . أين هو أضداده لا حقوه . يعذب القلوب شوقا . ويقتلها سخطاً وهذا بتقدير القادر القدير الذي يشار ولا يستشير . فتلك خفاياه وهذه عطاياه . وقل لمن يقل (لا) أعتبر بخلق أبيك آدم !! . وأذكر من بدأ به طينة ثم سواه . وأخرج زوجه من ضلعة فقرت بها عينه !؟ .. كذلك يقضي الرحمن بما قدر ولم

يك بالامكان هدم ما دبر .. حينئذ يصبح تاج المجد فوق مفرق كان أغبر أشعث . وقال قولا صادقا قط به لم يحنث وتركب العوالي . ويحل المحرم . ويعتلي المحدودب ويسرج المطهم . وهذا كاف لمن فهم المعنى فتروي . فسبحان الخالق البارىء له الحكم في الارض والسماء وله القول الفصل ﴾ .

والي هنا سكت التائه برهة ثم قال :

- أرجو قد فهمت شيئا من هذه الكلمات فاجبته :

— أكن مثلك ملعونا إذا فهمت شيئا من هذه الكلمات أو عرفت حرفا من هذه العبارات ..

فضحك وقال :

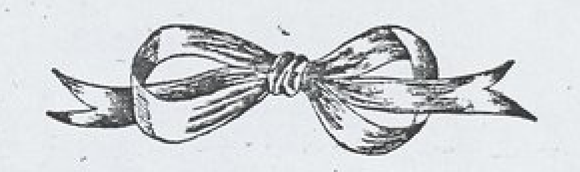
— لا بأس عليك !!. فستعرف كل شيء خفي على فهمك . ويتضح كل مجهول لديك .. وبالأخص اذا تمحصت الحقائق وغصت في بحار معانيها ورميت العصبية جانبا سينكشف لك ما أشكل عليك وينجلي كل غامض إليك . وسترى كل كلماتي هذه التي هي الآن يصعب تفسيرها واضحة جلية كأنما تقرأ في كتاب مفتوح حفظت قواعده منذ عشرات السنين . وأنى أستودعك الله إن تأذن لي بذلك .. وهذه آخر ليلة للوعد المضروب كما أخبرتني أنت . وعليه أرجو أن تصرفني صرفا نهائيا من حيث لارجعة بعده .

- الى أين تذهب إذا صرفتك الآن ؟ .

- أذهب الي حيث يدعوني داعي القدر ..

حينذاك قلت له انصرف وأشرت الى الموكل بأخذه . وما أن

نطقت بهذه الكلمة . وأشرت بالاشارة المعهودة حتى قام من مكانه والموكل آخذ بيده ويمما وجهيهما شطر المغرب وتوغلا في الصحراء مبتعدين عن عيني وغابا في الفضاء في طرفة عين .



«النهاية»

هذه هي حكاية اليهودي الثالثة الواقعية ، وايضا قصة الجان واثبات وجودهم ورؤيتهم والكلام معهم .. وكذلك الارواح .. فليكذبني من شاء .. وليصدقني من شاء ! .. فهذا شأنهم فهم أحرار في اعتقاداتهم وآرائهم . غير انه لاحق لهم في أن يتهموني بالدجل والخداع طالما قلت في أول كتابي اكثر من مرة واحدة ، بأنني مستعد للبراهين الساطعة والادلة القاطعة . والآن أعود فاقول : مستعد لمن يجد الجراءة في نفسه احضار الجان والارواح لاثبت لهم الصدق وقول الحق .

ويجب على كل عاقل محنك أن لا ينكر الاشياء التي لايدركها بحواسه . فلو بقي الانسان ينكر كل شيء لا يحسه لما خسر بذلك الدين والمنافع التي تتأتى من جهته وحسب ، بل لخسر العلم والمعارف وقيمة الآداب والثقافة والاخلاق والعفة ، وبالاخير لخسر كل شيء في هذا الوجود ، وهناك في العالم الثاني لا يعلم مصيره الا واحد أحد .

ورجائي من القراء الاعزاء ان لا يجنحوا الى العاطفة المجردة ويقحموا أنفسهم بجدل فارغ بعد ان قلت مراراً وتكراراً مستعد لكل شيء من هذا القبيل كي أزيل الشكوك والريب عن قلوبهم . والله ولي التوفيق

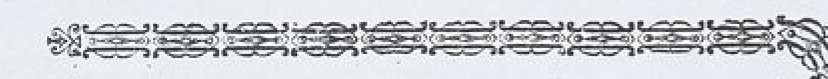
تم الكتاب

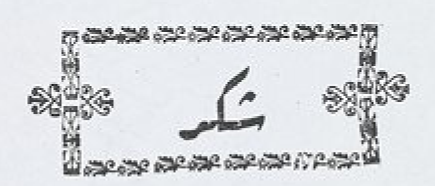
[ملاحظة مهمة جداً]

في أحد فصول هذا الكتاب سر مهم له من الخطورة مكانا عظيما - فمن يوفقه الحظ الى حله فله جائزة قدرها مائة دينار من ريع الكتاب :

اعتذار

نستميح القارئ الكريم عذراً من وجود بعض الاغلاط المطبعية البسيطة التي وقعت رغم جهودنا ولكنها لا تخفى على القارئ اللبيب .





اني اشكر (ابراهيم شيخ اسماعيل زبارتي النجفي) الذي انجز طبع الكتاب بسرعة وذلك بمجهوده الجبار اذ كان يقوم بترتيب عشرة صحائف يوميا



الفهرست